

روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

المحترف

103



www.liilas.com/vb3

نبيل فاروق

eman

المؤسسة العربية الحديثة

طبع و نشر في بيروت

الطبعة الأولى: ١٩٨٠ - ١٩٨١



د. نبيل فاروق

**رجل
الاستخبارات
المستحيل
روايات
بوليسية
للشباب
زاخرة
بالأحداث
المثيرة**

103

التميز في مصر
وساحله بالقرارات الأمريكية
في سائر دول العربية والعالم

المحترف

- لماذا يطلب رجل مخابرات إسرائيل حق اللجوء السياسي لـ (مصر) ...؟
- كيف يواجهه (أدهم) وحده جبهة (الموساد) والأمريكيين في (قنويلا) ...؟
- ترى من يكون النصر هذه المرة ، ومن يستحق في النهاية لقب (المحترف) ...؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة وقاتل بمشاعرك قلبها مع الرجل .. (رجل المستحيل) ..



العدد القادم : الإعصار الأحمر

www.liilas.com/vb3
eman

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز
لديه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة
ثالثة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه،
هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو
يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى
قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال، من المصارعة
وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة
لثمان لغات حية، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات
التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات،
وحتى الفواصلات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة ..
لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل
واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن
(أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، ولستحق عن
جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات
العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - مهمة أخيرة ..

(تل أبيب) .. أربع من يوليو ..
تطلعت سيارة أمريكية سوداء - عبر شوارع المدينة،
يقودها سائق ضخم الجثة، بارد الملامح، يغطى عينيه
بمنظار داكن، شديد التشبه بالتوافذ الجاثية للسيارة،
التي تحجب رؤية من بداخلها تماما، وإن لم تتر فضول
المارة كثيرا، فهم يعلمون أن المسار الذى تتخذه السيارة
لا يقودها إلا نيقة واحدة ..
مقر المخابرات الإسرائيلية ..

ونقد اعتادوا تلك الفضول وألفود، ولم يعد ينجح فى
جنب انتباههم، أو إثارة استاقلات فى أعماقهم ..
أما ذلك الجالس داخل السيارة، فقد اتهمك فى مراجعة
بعض البيانات الهامة، على شاشة جهاز الكمبيوتر
المحمول، الممنج بحقيقته، ولم يتابع مسار السيارة،
اتسى انحرقت إلى شارع طويل، تتوسطه بوابة أمن
كبيرة، توقفت أمامها لحظة، ليبرز السائق بطاقته،
وبطاقة الأئشر، لذى أغلق الكمبيوتر، ووضع حقيقته
إلى جواره، وهو يقول:

هل من مشكلات ؟

ألقى حارس البوابة نظرة على الأسفل الطويل ، ذى الوجه المربع والملامح القاسية ، وقال بنهجة مهذبة :

مطلقا يا مستر (جير) .. إنهم بانتظارك فى الداخل ..

ثم أشار إلى السائق ، مستطردا :

اعبر العمر الأيسر ، وتوقف عند ساحة انتظار

السيارات .

اتخذ المسائق المسار ، الذى أشار إليه حارس الأمن ، وله يكد يتوقف فى ساحة انتظار السيارات . حتى استقبله

حارس آخر ، فتح باب السيارة الجانبى ، وهو يقول فى

احترام :

مرحبا يا مستر (جير) .. تفضل .

حمل (جير) حقيبته ، وتبع الحارس إلى مبنى قريب ،

واستقل معه المصعد إلى الطابق الثالث ، وعبرا معا بـوابة

أمن إلكترونية ، قبل أن يصلا إلى مكتب مدير (الموساد) .

وهذا انسحب الحارس ، واستقبل المدير (جير) بالترحاب ،

وهو يصافحه قائلا :

صباح الخير يا مستر (جير) .. كيف حال الجميع

عندكم ، فى المخبرات المركزية الأمريكية ؟

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى (روالد جير) .

وهو يجيب :

يخبر كاتمعداد .

ثم اتخذ مقعدا جانيا ، وفتح حقيبته ، ليخرج منها ملفا صغيرا ، قدمه للمدير ، قائلا :

هذا هو الهدف الجديد .

التقط مدير (الموساد) الملف ، وهو يقول :

طبيعتك لم تتغير يا مستر (جير) .. ما زلت عمليا

للغاية ، ولا تضع لحظة واحدة .

تجاهل (جير) العبارة ، وكأنه لم يسمع حرفا واحدا

منها ، وهو يتابع :

اسمه (بيرو ستاسى) .. سياسى أمريكى ، يتعاطف

مع بعض المنظمات العنيفة فى (فنزويلا) ، ويصر على

عقد مؤتمر صحفى فى العاصمة (كراكس) ، فى أثناء

زيارته لـ (فنزويلا) فى الأسبوع القادم ، وما ينوى

الإصحاح عنه فى ذلك المؤتمر بالغ الخطورة ، ويمكنه

إحراج الحكومة الأمريكية بشدة .

جلس المدير خف مكتبه ، قائلا :

فهمت .. إذن فهو بوق جديد ، ارفع صوته ، وبات

من المحتم إسكاته .

نهض (جير) ، قائلا :

سأحل المعلومات والصور فى الملف ، والمؤتمر الصحفى

فى التاسع من يوليو .

عقد مدير (الموساد) حاجبيه ، وهو يقول :

- مهلاً يا مستر (جير) .. لماذا تتعامل معنا دائماً
وكأننا منظمة للقتلة المأجورين ؟ .. لماذا لا تقومون
باغتيال ذلك الرجل بأنفسكم ، مادام وجوده يفتلكم إلى
هذا الحد ؟

رمقه (جير) بنظرة صارمة - قبل أن يقول :

- كنت أظن أنه توجد اتفاقيات تعاون بيننا ، تحصلون
بموجبها على طن من المعلومات سنوياً ، مقابل بعض
الخدمات البسيطة .

قال مدير (الموساد) في حدة :

- تقصد بعض الخدمات الحقةرة .

صمت (جير) لحظات ، قبل أن يجيب في صرامة :

- إننا نعتمد على كفاءتكم ، في مثل هذه الأمور .

ثم حمل حقيبته ، مستطرداً في برود ، وهو يتجه إلى
الباب :

- فأنتم خبراء فيها .

ازداد انعقاد حاجبي مدير (الموساد) في غضب ، ولكنه
لم يعترض ، واكتفى بمراقبة (جير) ، حتى غاب المكان ،
ثم غشم في سخط :

- غداً ستدرك أن هذا ليس المعجاز الوحيد ، الذي
نمتلك فيه خبرات واسعة .

وضغط زر جهاز اتصال داخلي أمامه ، قائلاً :

- أريد (يائيل) فوراً .

لم يمض ربع الساعة ، حتى تلف إلى مكتبه رجل
رياضي القوام ، وسيم ، مشقوق القامة ، استقبله في
اهتمام ، قائلاً :

- لديك عملية جديدة يا (يائيل) .

زوى الرجل ما بين حاجبيه ، مغشياً :

- عملية جديدة ١٢ .. ولكن يا سيدي ..

قاطعه المدير في صرامة :

- ولكن ماذا ؟

زفر (يائيل) في توتر ، قبل أن يجيب :

- كنت قد تقفمت بطئ تقاعد ، و ...

قاطعه المدير في سرعة :

- الطلب مرفوض .

يدا التوتر الغنيف على وجه (يائيل) ، وهو يقول

في عصبية :

- ولكنني أصر عليه يا سيدي .

صاح المدير في وجهه :

- ماذا تقول يا رجل ١٢ .. كيف تفكر في التقاعد ، ولم

تتجاوز الأربعين من العمر بعد ١٢ .. ثم إنك أفضل قاتل

محترف أجينا ، ورأسك يحوى من الأسرار والتفاصيل
ما يكفى لملء ذاكرة كمبيوتر بنكى ، فكيف ترغب فى
قضاء سنوات العمر الباقية خاملا متراحيا !!

أجابه (يانيل) فى توتر :

- لقد سلمت هذا العمل يا سيدى .. لم يعد بإمكانى
الاستمرار .. لم أعد أستمتع بمهنة تعتمد على عقل الآخرين .

صرخ المدير :

- ماذا أصابك يا رجل ؟! أنت محترف .. من تفهم ؟!

محترف .. وأمثالك لا يعملون لأنهم يستمتعون بعملهم ،
بل يحنون لأنهم تدرّبوا على هذا العمل بالتحديد ، ولأنهم
يربحون منه الكثير .. والتشير جدا .

قال (يانيل) فى عناد :

- لست أنكر يا سيدى .. لقد ربحت انتشار جدا من
على هذا ، ولم أعد أرغب فى المزيد .. ماعزّل المهنة ،
وأستثمر أموالى فى مزرعة صغيرة ، فى (أمريكا
الجنوبية) ، مع (نينا) ، و ...

قاطعته المدير :

- (نينا شيريدان) ؟!

أوصا (يانيل) برأسه إيجيا ، وقال متوترا :

- نعم يا سيدى . (نينا شيريدان) ، صحيفة جريدة
(كول هاير) .. إننى أحبها منذ زمن ، وهى تبادلنى
الحب ، ولقد قرأتها ..

قاطعته المدير فى حدة :

- قرأتها ؟! أمذا قول يصدر عن محترف ؟! .. ألم
يعلموك أبدا أنه لا أحد يترك عملنا هذا بإرادته وحده ؟

قال (يانيل) متبرما :

- لقد تقدّمت بطلب رسمى .

برسه المدير بنظرة طويلة ، وعقله يعن فى سرعة ..
عان من الواضح أن الرجل قد متد حرفته إلى أقصى
حد ..

وأنه لم يعد يحتمل ..

وثوان ، لم يفس المدير ببنت شفة ، ثم لم يلبث أن
قال فى بطء :

- فليكن .

تطّش إليه (يانيل) فى لهفة متسائلة ، فتابع فى
هدوء :

- سأوافق على تقاعدك يا (بروزنسكى) .

عاد (يانيل بروزنسكى) يقفل فرحا ، وهم يشكر
رئيسه ، إلا أن هذا الأخير استدرك فى سرعة وصراة :

- ولكن بشرط واحد .

سأله (يائيل) فى قلق :

- وما هو ؟

صمت المدير لحظة أخرى ، قبل أن يجيب :

- أن يتم هذا بعد العملية .

علا حاجبا (يائيل) يتقيان ، وهو يتطلع هنا الشرط ..

إذن فكل ما يطلبه المدير هو عملية أخيرة ..

عملية يؤدي فيها حرفته ، وبعدها يتقاعد ..

وتم يستغرق منه الأمر طويلا ، بل أجاب بسرعة

وحزم :

- اتفقنا .

ابتسم المدير فى ارتياح ، وألقى إليه الملف ، قائلا :

- خذ .. حاول أن تنفذ العملية بمهارة كبيرة ، فهى

عمليتك الأخيرة .

أجابه (يائيل) فى حماس :

- سأبذل قصارى جهدى .

قالها ، وغادر المكتب فى خطوات سريعة ، مفعمة

بالحماس ، وهو يحمل الملف ، ولم يكده يغلق الباب

خلفه . حتى ضغط المدير زر جهاز الاتصال الداخلى ،

وقال :

- أرسل لى (دار) .. (تيمون دار) -

وأجبه إلى النافذة ، يتطلع منها إلى الفضاء الخلقى ،

مرافقا (يائيل) ، الذى قطعه متجها إلى قاعة التدريبات ،

وظل المدير فى وقفته ، حتى سمع طرقات على باب

مكتبه ، فقال :

- ادخل يا (دار) .

دخل رجل المخابرات الخاص بالحجرة ، وأغلق بابها

خلفه فى إحكام ، وهو يقول :

- فى خدمتك يا سيادة المدير .

سأله المدير ، دون أن يلتفت إليه :

- كيف حال مالك يا (دار) ؟ .. هل شفيت من إصابتها

فى العملية الأخيرة ؟

أجابه الرجل فى صوت لا يحمل أية انفعالات :

- نعم يا سيدي .. لقد شفيت تماما .

هز المدير رأسه متفهما ، وقال :

- عظيم .. ساعده عليك بمهمة جديدة إذن .

ثم التقى حاجبا ، وهو يستعطر فى حزم :

- مهمة فى (فنزويلا) .

وراح يطرح ما لديه ..

وبأدق التفاصيل ..

* * *

« يا لها من مفاجأة .. »

هتفت (نينا شيريدان) بالعبارة في فرح ، وهي تصفق بكفيها كالأطفال ، قبل أن تكمل :

« إن سنسافر معا إلى (كراكس) .. يا نسعانتى !!
لم أكن أحلم بأجمل من هذا .

وتأبطت ذراع (يانيل) في مرح ، مستطردة :

« أعتقد أن السماء قد استجابت لدعواتي ؟

ابتسم (يانيل) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

« من يدري ؟.. ربما .. المهم أننا سنسافر معا ، وأنتى

سأنهى آخر أعمالي هناك ، قبل أن نسافر معا إلى

(البرازيل) ، ونبدأ في إنشاء المزرعة ، التي نحلّم بها

منذ زمن .

عادت تصفق بكفيها في سعادة ، قبل أن تسأله بفتة :

« وما العمل ، الذي ستقوم به هناك ؟

صمت لحظات ، دون أن تخفى ابتسامته ، وقال :

« يمكنك القول بأنها عملية تصفية .

باغتها الجواب ، فغمغت مشدودة :

« تصفية ؟

انتبه إلى الأكثر ، الذي تركته العبارة في نفسها .

فاطلق ضحكة مفتعلة ، وضمها إليه ، قائلاً :

« إنه مجرد اصطلاح مجازى .. إننى أقصد أنها عملية

تصفية أعمال .

هتفت :

« آه .. فهمت .

ثم عادت تضحك في مرح ، مستطردة :

« ننت أصدق أننا سنقضى عمرنا كله معا .

سألها بابتسامة شاحبة :

« ألن يشعرك هذا بالملل ؟

هتفت في حماس :

« مطلقاً .. المهم أن نكون معا ، وألا تتشغل طوال

الوقت بعملك عنى .

صمت لحظة ، اكتست خلالها ملامحه بشيء من

الحزن ، قبل أن يجيب :

« اضئنى .. عملى لا يستغرق طويلاً فى المعتاد .

تأملته صامتة بعض الوقت ، ثم اقتربت منه ، وسألته

فى قلق عجيب ، أيقظته فى نفسها غريزتها الأكثوية

الكامنة :

« (يانيل) .. ما الذى ستفعله فى (كراكس) بالضبط ؟

حاول أن يبتسم ، وهو يجيب :

« قلت لك : إنها عملية تصفية بسيطة .

تألمته مرة أخرى ، قبل أن تمسح وجهه بأناملها ،
مغمضة :

- أهي خاصة بالبنك الذي تعمل به ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

- نعم .. آخر عملية لحساب البنك ، قبل أن يوافقوا
على اعتزالي .

كان بيذل طاقة هائلة ، ليبدو حديثه بسيطاً مقتعاً ، إلا
أنه جاء ، على الرغم منه ، عصبياً متوتراً ، مما أورثها
مزيداً من القلق ، وجعلها تشعر في أعماقها بخوف
مبهم ..

خوف من خطر مجهول ، شعرت بأنه يهدد أمنها
وسلامتها ، متمثلين في الشخص الوحيد ، الذي منحته
حبها ، منذ فترة طويلة ..

وعلى الرغم من ثققتها بأنها حصلت على امتياز
خاص ، عندما اختارتها الجريدة لتسافر إلى (كراكس) ؛
لتغطية المؤتمر الصحفي ، الذي سيعقده (ستاسي)
هناك ، إلا أن شيئاً ما في أعماقها كان يشعر أن هذه
الرحلة ستجعل الكثير مما لا يروق لها ..
الكثير جداً .

★ ★ ★

٢ - اغتيال ..

(كراكس) - (فنزويلا) .. التاسع من يوليو ..
عقد (بيرو ستاسي) رباط عنقه في شيء من
الحق ، وهو يقول لمفتش الشرطة انفرنولي (باردو)
في عصبية :

- لست أرى لماذا تتصرفون بهذه الحساسية المفرطة
أيها المفتش ١٢ .. أنا واثق من أن أحداً لن يجرؤ على
محاولة اغتيالي ، وسط مؤتمر صحفي عالمي .

أجابته المفتش في مزيج من الضجر والسخط :

- لدولتي رأي مخالف يا مستر (ستاسي) ، فنحن
نتصور أنك مستهدف وبشدة ، خاصة وأنك تنوى كشف
الكثير من الأسرار ، التي لن يروق للكثيرين عرضها
علانية ، على هذا النحو .

قال (ستاسي) في غضب :

- من حق الشعوب أن تعرف الحقائق أيها المفتش ،
مادام هذا يتعلق بمصائرها ، ونحن في (أمريكا) نؤمن
تماماً بحرية النقد والقول .

ابتسم المفتش في شيء من السخرية . وهو يقول :
- حقاً ؟

اتعقد حاجباً (ستاسي) ، وهو يقول في حدة :

- ماذا تعني أيها المفتش ..؟ ما الذي تلمح إليه ؟

أشار المفتش (بارنو) بيده ، قائلاً :

- لا شيء بالتأكيد .. أنا رجل أمن ، وليس من حقى
التدخل في السياسة .. كل ما أسعى إليه هو ضمان أمنك
فحسب .

صاح (ستاسي) محنقاً :

- وما الذي يمكنك فعله أكثر من هذا ..؟.. إنك تضع

فريق حراسة كاملاً حول جناحي بالفتني ، وتجبرني على

ارتداء صديريّة مضادة للرصاص تحت ثيابي ، وتحضر

ثلاثة يشبهونني تماماً ، للعمل كبدايل لي .. ما الذي

تريدوه أيضاً ؟.. هل ستتعاقد مع (سوبرمان) نفسه

لحمايتي ؟ (*)

(*) سوبرمان : شخصية خيالية . ابتكرها (جونسون)

و (جيرى سيجال) . إن الأزمة الاقتصادية الأمريكية في

الثلاثينات ، وهي لبطال قادم من كوكب آخر ، يكتسب قوة خارقة

على الأرض ، ويستخدمها لتحقيق العدل ومكافحة الجريمة . ولقد

نجحت الشخصية نجاحاً مذهلاً ، وريحت منها شركة (كوشن

كوميكس) الملايين والملايين .

قال المفتش في غضب :

- ليتني أستطيع ، فهذا سيفعّلي عنى الأكل من

احتمال تفريقك لي طوال الوقت ، وكأنني أسعى لأغتيالك

لأحمائك .. أنت لا تدرك كم نتجشّم من جهد ومال ،

لنحافظ على حياتك .. هؤلاء البدائل ، الذين تمخر من

وجودهم ، هم أكبر ضمان لبقائك .. لقد درسنا الأمر كله

يا رجل .. برساند من وجهة نظرنا كمحترفين ، وأصبحنا

نعرف أنك آمن هنا ، وفي القاعة التي ستعقد فيها

المؤتمر الصحفي ، ولكن منطقة الخطر الأعظم تكمن في

عبورك من المساحة الرئيسية نفقنا ، إلى قاعة

المؤتمر ، فهذا يحتم سيرك عبر ممر طويل ، نه جدران

زجاجية ضخمة ، تجعلك مكتشوقاً تماماً ، لعدد من

اتبايات المواجهة .. والشخص الذي قد يستأجرونه

لأغتيالك ، سيكون محترفاً حتماً ، والمحترف يعلم أنه

لن تكون أمامه إلا فرصة واحدة ، لإطلاق رصاصة

واحدة ، فإما أن ينجح في إصابتك بها مباشرة ، أو

يفشل ، فيفارقه النجاح إلى الأبد .. هذا لأن الرصاصة

ستكشف موقعه ، وتكفّع فريق الأمن لاتخاذ إجراءات

حمايتك على الفور ، ووجود أربعة أشخاص لهم نفس

ملاحك وهيتك سيربكه حتماً ، فيعجز عن إصابتك ..

هل فهمت ؟

بهت السيناتور الأمريكى لهذا الوضوح الغاضب ،
الذى يتحدث به المفتش ، واحتقن وجهه لحظات ، ثم لم
يلبث أن ارتدى ستورته ، مغمغا :

- أنتم أكثر دراية بنظم الأمن .

ثم رفع رأسه ، مستطرذا :

- هيا بنا .. لست أحب أن ينتظر الصحفيون طويلاً .

قالها ، واتجه إلى الباب فى كبرياء ، جعل المفتش
يهز رأسه ، ويغمغم فى حلق ساخط :

- يا لرجال السياسة .

وفى حذر ، وتحت شبكة أمنية دقيقة ، عبر الموكب
الصغير الساحة الرئيسية للفندق ، و (ستاسى) يسير
وسط ثلاثة رجال ، يقاربونه ملاصق ، ويرتدون حلة
مشابهة تماماً لحلته ، وحولهم رجال الأمن ، واتجه
الجميع إلى ذلك الممر ذى الجدران الزجاجية ، فخطق
قلب المفتش (باردو) فى توتر ، وقال عبر جهاز
اللاسلكى :

- درجة الاستعداد القصوى .. حاولوا عبور الممر
بأسرع ما يمكن .

تحرك الجميع بسرعة أكبر ، فى محاولة لقطع دسنة
الأمطار ، التى تفصلهم عن قاعة المؤتمرات ، و ..

وفجأة ، أصابت رصاصة من الجدار الزجاجى ، فى
نهاية الممر ، فصاح المفتش (باردو) ، وسط الاضطراب
العنيف ، الذى أصاب الموكب :

- (ستاسى) .. احموا (ستاسى) .

لم تكد الصيحة تفارق شفثيه ، حتى أدرك الفخ الذى
وقع فيه ، ورجاله يندفعون بحركة غريزية نحو
(ستاسى) الحقيقى ..

لقد أمقن القاتل خدعته إلى حد مدعش ..

الرصاصة التى أطلقها بعيداً ، عند نهاية الممر ،
جعلت رجال الأمن يكشفون له الهدف الحقيقى ، من بين
الأهداف الخداعية ..

وهنا يحين موعد الطلقة الثانية ..

ولقد انطلقت فى موعدها بالضبط ..

بعد ثانية واحدة من الرصاصة الأولى ..

ويعد أن حدد القاتل المحترف هدفه بدقة ..

وقبل أن يندفع (باردو) نحو (ستاسى) الحقيقى ،

ويحاول بفعه بعيداً ، أو حتى حمايته بجسده ، اختترقت

الرصاصة الثانية الجدار الزجاجى ، وعبرته لتستقر فى

منتصف جبهة السياسى الأمريكى مباشرة ..

وصرخ المفتش فى هلع غاضب :

أما (ستاسي) ، فقد جثت عيناها ، وترنح جسده لحظة ، قبل أن يهوى جثة هامدة ، وسط فريق أمسي أصابته الصدمة بجرح غائر في كفايته وكرامته ..
ولثائية أو ثائيتين ، انعقدت أسنة الجميع ، ثم صرخ المفتش (بارنو) :
- القاتل هناك .. فوق ذلك المبنى المرتفع .. الحقوا به .

لم يكن (يائيل) من الغباء ، بحيث لا يدرك أن الغضب سيدفع رجال الأمن إلى التحرك بأقصى سرعة ، وأكبر قدر من العنف ، وأنه نوس أمامه سوى دقائق معدودة للفرار من المكان ، وسحو كل أثر يمكن أن يوقد إليه ..
ولم يضع لحظة واحدة ..

لقد تصرف كمحترف حقيقي ، فألقى البندقية خلفه ، وخلق قفازيه ، وهو يعدو نحو مدخل السطح ، ووثب متجاوزاً درجات السلم ، التي قادته إلى المصعد ، الذي وضع حائلاً مسبقاً ، بين ضلعتي بابه ، وقفز داخله ، وضغط زر الطابق الثاني ، واستغل فترة الهبوط ليبدل سترته ، فيرتديها على الوجه الآخر ، الذي يحمل لونا



لقد تصرف كمحترف حقيقي ، فألقى البندقية خلفه ، وخلق قفازيه ، وهو يعدو نحو مدخل السطح ..

وتصميماً مختلفين ، ولم يكد يبلغ الطابق الثاني ، حتى
اندفع عبر ممره إلى شقة استأجرها في اليوم السابق ،
تطلى على شارع جانبي ضيق ، وخرج من نافذتها
ليعلق بمأسورة صرف كبيرة ، وينزلق عليها إلى
الشارع ، الذي تجاوزه في خطوات أقرب إلى العدو ،
وقفز داخل سيارة تنتظره عند نهايته ، فاطلقت به على
الفور ، وسأله قائدها في اهتمام :

- هل فعلتها ؟

ابتسم (يانيل) ، وهو يلهث في الفعل ، وأشار بإبهامه ،
مغمضاً :

- كالمعتاد .

عاد (شيمون دار) يسأله في حزم :

- أأنت واثق من أنك قد أصبته في مقتل ؟

استرخى (يانيل) في مقعده ، وأسيل جفنيه قليلاً ،

وهو يشير إلى منتصف جبهته ، قتيلاً :

- ما رأيك في هذا الموضع ؟

ضاقت عيناً (دار) ، وهو يجيب :

- رائع .

ثم انحرف بفتة في شارع جانبي ، وأوقف سيارته عند
نهايته المسدودة بجدار ضخّم ، فسأله (يانيل) ، وهو
يعتدل في حيرة :

- لماذا توقفت هنا ؟

أجابه (دار) في هدوء :

- أريد اختيار ذلك الموضع .

أطلت نظرة متسائلة من عيني (يانيل) ، فاستطرد

(دار) في سرعة ، وهو يستل مسدسه ، ويصوبه إلى

جبهته :

- عندما تستقر فيه رصاصة .

اتسعت عيناً (يانيل) في ذهول ، وتعلقتا بسبابة

(دار) ، وهي تضغط الزناد بلا تردد ..

ثم انفجرت في عروقه فورة المحترق ..

وتحرك بسرعة مذهشة ..

وانطلقت الرصاصة ..

وشعر (يانيل) بالألم حادة في جبهته ، وبسهم من

التار يحثك بها ، واخترق دوى الرصاصة أذنيه على

نحو خفيف ، فصرخ :

- أيها الحقير !

لم تكن الرصاصة قد اخترقت جبهته ، كما استهدف

(دار) ، فقد ألقته حركته السريعة من الموت ، ولكنها

لم تمنع حدوث تلك الجرح في جبهته ، والذي سالت منه

الدماء لتغمر وجهه ..

مسدسه تحت قدميه ، فكال له (يانيل) لكعة قوية ،
صارخا :

« أنت تستحق هذا .. كلكم تستحقون هذا .

ارتطم (دار) بباب السيارة في قوة ، وصرخ بكل
الأم والقضب في أعصاقه ، وهو يضع يسهاده على عينه
المصابة ، ويحاول استعادة مسدسه :

« ستموت يا (يانيل) .. ستموت جزاء ما ففحه .

انحنى (يانيل) بسرعة ، يفتح باب السيارة ، ثم ركن
(دار) بكل قوته ، وألقاه خارجها ، وهو يهتف :

« ليس بهذه السهولة .

سقط (دار) خارج السيارة ، وهو يقبض على مسدسه ،
فقفز (يانيل) إلى متعد القيادة ، وانطلق بالسيارة ، و (دار)
يصرخ :

« لن تفلت .. لن تفلت أبدا .

أقترنت صرخته بدوى رصاصاته ، اننى اخترقت زجاج
السيارة الخلفى ، واستقرت إحداها فى كتف (يانيل) .
انذى تأوه فى ألم ، وزاد من سرعة السيارة ، وهو
يمسح الدماء عن عينيه ، ويهتف فى ألم :

« يا للأوغاد ! .. يا للأوغاد !

تحرك فى الطريق الرئيسى ، وتجاهل أبواب السيارات
المعرضة والمستكرة ، وهو يدور إلى الطريق المقبل ،

إلا أنه تحرك بسرعة مذهشة ..

تحرك محترف ..

وبكل قوته ، هوى بيسراه على فك (دار) ، وهو
يحاول انتزاع المسدس من يده ..

ولكن (دار) كان أيضا محترفا ..

وكانت المعركة عنيفة داخل السيارة ..

ويدا من الواضح أن (شيمون دار) أكثر تفوقا فيها ،
نظرا لطبيعة دوره فى (الموساد) ، التى تحتم حدوث
مواجهات مباثرة ، على عكس (يانيل) ، الذى اعتاد
دوما العمل من بعيد ..

وعندما انطلقت الرصاصات الفاتية ، شعر (يانيل)
بالألم مبرحة فى فخذه ، وأدرك أن (دار) سينتصر لامحالة ،
فدفع قداحة السيارة ، وهو يهتف :

« لماذا ؟ .. لماذا تفعل هذا ؟

صاح به (دار) فى غلظة :

« أنت خبى .. الموت هو الوسيلة الوحيدة للتقاعد فى
عالمنا ، بالنسبة لمن يحملون هذا القدر من الإصرار .

صرخ (يانيل) :

« أيها الأوغاد .. أيها الأوغاد .

ثم انترع للقداحة المشتعلة ، ودفعها فى عيني (دار) ،
انذى أطلق صرخة ألم هائلة ، وتراجع فى علف ، وسقط

فى نفس اللحظة التى اندفع فيها بعض رجال الشرطة ،
محاولين الوصول الى المبنى ، الذى يبعد عنه مائتى
متر تقريباً ، فتجاوزهم فى مهارة ، واندفع نحو الفندق ،
الذى احتشد الصحفيون أمامه ، ودارت عيناه بينهم بسرعة
البرق ، قيل أن تستقرا على وجه (نينا) ، فهتف :
- (نينا) .. (نينا) .

التفتت (نينا) إلى مصدر الصوت فى دهشة ، ثم شهقت
فى منع ، عندما رأت (يانيل) داخل السيارة ، والدماء
تغرق كتفه وجبهته ، فأمرعت إليه هاتفه :
- ماذا حدث ؟ .. ماذا أصابك ؟

صاح بها فى توتر بالغ :
- اركبى بسرعة .. لا وقت للتقاش .

كان لديها ألف سؤال ، ترغب فى طرحها عليه ، إلا
أن هيلته ، والطريقة التى تحدث بها ، جعلها تقفز إلى
السيارة بسرعة ، فأتطق هو بها ، وسائها فى عصبية :
- لقد زرت (فيزويلا) من قبل .. هل تعرفين مكاناً
مناسباً ، يمكننا أن نخفى فيه بعض الوقت .

هتفت فى دهشة ملعة :
- نخفى فيه ؟ .. ماذا تعنى ؟ .. ماذا حدث بالضبط ؟

صاح بها فى حدة :
- أجيبى عن سؤالى .

ازدبرت لعابها فى صعوبة ، وقالت :
- نعم .. أعرف مكاناً منعزلاً ، لو أن هذا ما تقصده ،
ولكن أخبرنى أولاً .. ما الذى فعل بك هذا ؟
وانحنت لتلقى نظرة على جرح كتفه ، قبل أن تصرخ :
- (يانيل) .. اتك مصاب برصاصة !!

أجابها متوتراً :
- بل رصاصتين ، والثالثة جرحت جبهتى .
شهقت هاتفه :
- ثلاث رصاصات ؟ ..! (يانيل) .. أخبرنى بالله عليك ..
ماذا حدث ؟

ثم انعقد حاجبها بشدة ، وهى تستطرد :
- قل لى : ألماذا علاقة بمقتل السيناتور (ستاسى) ؟
صمت لحظة ، ثم أجاب فى حزم وإقتصاب :
- نعم .

توترت أعصابها بشدة ، وهى تسأله :
وما علاقتك بهذا الأمر بالضبط ؟
صمت لحظة أخرى ، ثم أجاب فى حسم :
- أنا قُتنته .

شهقت (نينا) فى قوة ، وتراجعت كالمصعوقة ، وهى تخفى نفسها بقبضتيها ، قبل أن تهتف فى صوت صاحب مبحوح : يسبح فى بحر من الانفعالات :

- أنت ..!؟ أنت يا (يائيل) ..!؟ ولماذا تفعل هذا ؟!

أجابها فى توتر بالغ :

- إنها مهنتى .

هو قلبها بين ضلوعها ، وهى تردده فى ارتجاع :

- مهنتك ؟!

اتعقد حاجباه فى شدة ، وحاول التغلب على آلامه المبرحة ، وهو يقول :

- اسمعنى جيداً ، وكفى إضاعة للوقت .. لقد أخفيت عنك الأمر ؛ لأننى لم أجد فيه ما يستحق الفخر ، ولأننى كنت أشوى مخلصاً أن أعترل المهنة ، وأن أتزوجك ، لنحيا معاً فى مزرعتنا فى (السرازيل) ، ولكن الأوغاد خدعونى ، وحاولوا التخلص منى فى العملية الأخيرة . سألتهم فى حذر مذعور :

- أى أوغاد ؟

أجابها فى مقت :

- (الموساد) .

شهقت فى رعب ، وهى تتراجع فى عطف ، وقد انخرس لسالتها تماماً ، فى حين تابع هو فى توتر شديد :

- إننى أعزل لحسابهم منذ زمن طويل .. قاتل

محترف ، ضمن فرقة الاغتيالات ، ولكنى لم أتصور أبداً أنهم بهذه الخسة .

ارتجفت من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ، وهى تقول :

- لابد أن نهرب .. لابد أن نفلت من بين أصابعهم ،

والا مزقونا إرباً .

هز رأسه نفياً ، وهو يجيب :

- القرار منهم مستحيل !.. أنا أعرف كيف يتعاملون ،

مع مثل هذه المواقف .. سيرايقبون الحدود ، ومداخل

ومخارج المدينة ، وطرق المواصلات بأنواعها ، وسينتشر

جواسيسهم فى كل شارع .. لن تكون هناك وسيلة

لنهرب ، خاصة مع إصاباتى ، وانعدام خبرتى تقريباً فى

هذا المجال .

سألته فى ارتجاع أقرب إلى الامهيار :

- ماذا نفعل إذن ؟!؟ ماذا نفعل ؟

أجابها فى حزم :

- تستغل الوقت بسرعة ، ولا نضيع منه لحظة واحدة ،
ثم نتجه إلى آخر مكان يمكن أن يخطر ببالهم .
سألته في لهفة متوترة :

- وما هو ؟

التقط نفساً عميقاً ، في محاولة للسيطرة على آلامه
واتفالاته ، قبل أن يجيب :

- السفارة .. السفارة المصرية .

وكانت مفاجأة للصحفية الشابة ..

مفاجأة مذهلة .

٣- الصفقة ..

(القاهرة) .. العاشر من يوليو ..

جذب (قدرى) المتظار المكبر الضخم ، ليدور به
حول قاعدته المعدنية ، واتحنى فوقه ، يتطلع في اهتمام
إلى بطاقة من انبلاستيك المضغوط ، تحمل كلمات عبرية ،
إلى جوار صورة ضوئية لشخص متنع ، ثم هز رأسه
بعدم رضا ، وقال محدثاً شاباً تحيلاً ، يقف إلى جواره ،
يدخل معمله الخاص ، في مبنى المخابرات العامة المصرية :

- إيه بيلى متقلاً من بعيد ، ولكنه لن يصعد أمام
الفحص الدقيق .. انظر إلى الحروف في الركن الأيمن

السفلى .. إنها يا هتة ، عند تكبيرها عشر مرات فحسب ،

فماذا لو تم فحصها بالكمبيوتر ؟

سأله الشاب في اهتمام :

- وما الحل في رأيك ؟

نوح (قدرى) بيده في حزم ، وهو يجيب :

- أن تستخدم الوسيلة نفسها .. إنهم يقصونها باستخدام

الكمبيوتر ، بعد تكبيرها إلى مائة ضعف من حجمها

الأصلى ..



استخدم أنت أيضا الكمبيوتر فى صنعها ، وقم بتكبيرها
مائتى مرة إن استطعت .. المهم أن يكون عملك شديد
الإحسان ، حتى لا يمكن كشف أمره إلا باستخدام تقنية
متقدمة للغاية .

ابتسم الشاب ، وهو يقول فى لكمة تشويها نبرة
ساخرة :

- وما هذه التقنية المتقدمة فى رأيك ؟!.. منظر مكبر
كهذا ؟

عقد (قبرى) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :
- فى أيامى ، كنت أصنع المعجزات ، بهذا المنظر
البسيط .

قال الشاب بنبيراته المستفزة :
- لمست أعتقد أن معجزاتك تلك تصلح لأيامنا هذه .
احتقن وجه (قبرى) ، وهم يقول شيء ما ، لولا أن
ارتفع صوت صارم ، يقول :

- بل أنت الذى لا يصلح لعملائنا يا هذا .
التفت (قبرى) والشباب معا إلى مصدر الصوت ، وهتف
الأول فى سعادة واضحة :

- (أدهم) ؟!.. حمدا لله على سلامتك يا رجل .
قلتها ، وانفج يصفاح (أدهم) فى حرارة ، مستظردا :
- متى وصلت من (أمريكا) ؟! كيف حال (منى) هناك ؟

تنهد (أدهم) ، وهو يجيب :

- وصلت منذ ساعة واحدة يا صديقى .. أما (منى) ،
فما زالت غارقة فى غيوبتها العميقة ، والله (سبحانه
وتعالى) وحده يعلم ، متى تستيقظ منها .
هم (قبرى) بالقاء سؤال آخر ، ولكن الشاب اندفع
قاتلا فى حدة ، وبنبيرة متحمية :

- ربما كان من رأيك أننى لا أصلح لمثل هذا العمل ،
ولكننى مررت باختبارات عدة ، أكدت فى النهاية
صلاحيتى للعمل . و ...

قاطعه (أدهم) فى صرامة :
- اصمت .

كان الشاب يمتلئ تحنينا بالفعل ، إلا أن صوت (أدهم)
جعله ينتفض فى غضب ، ودفع شجاعته إلى القرار من
قلبه إلى قدميه ، والدماء تكاد تتجند فى عروقه ،
وبطلنا يستطرد صارما :

- لو أنك تمتلك نرة واحدة من العقل والحكمة ،
لأسعدك أن تتلمذ على يد أعظم خبير تزييف وتزوير
عرفته ، فى الدنيا كلها ، ولبذلت قصارى جهدك ؛ لتنهل
منه قدر استطاعتك .

حاول الشاب أن يستعيد سيطرته على نفسه ، وهو
يقول :

ولكن هذه الأساليب لم تعد تناسب تكنولوجيا العصر .

مال (أدهم) نحوه : وهو يقول في صرامة :
- هذا هو الخطأ ، الذي يقع فيه الجميع .. التكنولوجيا تتبدل وتتطور وتتغير دائما ، ولكن الشيء الذي يبقى ويتفوق هو الخبرة والموهبة .. نفس الخبرة ، التي جعلت (قري) يدرك أهمية وخطورة الكمبيوتر ، في هذا العصر ، وينصحك باستخدامه ، كما يستخدمه الخصم .. ما الذي يشف عنه هذا في رأيك .. العقبرية أم الحمالة ؟
بقي الشاب متطلعا إلى عيني (أدهم) لحظلة ، ثم لم يلبث أن عجز عن الاستمرار ، فخفض عينيه ، مغمغا :
- عن العقبرية بالتأكيد .

ثم التفت إلى (قري) ، مستطردا في ارتباك :
- معذرة يا أستاذ (قري) .. هل تسمح لي بالانصراف ؟ .. أقصد لساعة واحدة ، ثم أعود لاستكمال الدرس .

أشار إليه (قري) بسبيلته ، مجيبا :
- بالطبع .. خذ ما يقويك من الوقت ، وسأنتظر .
انصرف الشاب بسرعة ، والخبز يملأ نفسه ، ولم يكد يخلق الباب خلفه ، حتى اندفع (قري) يصالح (أدهم) ثانية ، في حرارة أكثر ، ويريت على كتفه قائلا :

- أشكرك .. أشكرك يا صديقي .. أنت لا تتخلي عني أبدا .

ابتسم (أدهم) ، قائلا :
- فيم الأصدقاء إنن يا رجل .
ثم جلس يسأله :
- كيف حال يتيك يا صديقي ؟
تطلع (قري) إلى كتفه في حزن ، وهو يجيب :
- أستطيع استخدامها ، ولكنها لم تعد إلى سابق عهدها قط ، منذ حطمتها نيك الودع في (لوس أنجلوس) (*) ، ولهذا أكتفى بتدريب المستجدين ، في قسم التزييف والتزوير .

أجابه (أدهم) بإبتسامة هادئة :
- إنها مسألة وقت يا صديقي .. سيعود كل شيء إلى عهده مع الوقت .
أوبا (قري) برأسه موافقا ، وغغم :
- نعم .. إنها مسألة وقت .
ثم أضاف في اهتمام :
- وهذا ينطبق على حالة (منى) أيضا .

(*) راجع قصة (قضية القاصة) .. لمغفرة رقم (١٠٠) .

صمت (أدهم) لحظات ، أطل الحزن خلالها من عينيه
واضحاً ، قيل أن يغتم :

- أرجو هذا .

تطلع إليه (قدرى) مشفقاً ، وسألته :

- هل تفتقدها يا (أدهم) ؟

ابتسم (أدهم) فى حزن ، وهو يجيب :

- ياله من سؤال !

ثم نهض من مقعده ، واتجه إلى النافذة ، وتطلع

عبرها لحظة فى شروق ، قيل أن يتابع بصوت حزين :

- إننى أشعر بدونها وكأننى جثة بلا روح يا صديقى .

ترقرقت دموع فى عيني (قدرى) ، وهو يتمتم فى

خفوت شديد :

- أحببها إلى هذا الحد ؟

كان يفكر فى إضافة عبارة أخرى ، عندما ارتفع

صوت دقات على باب المعمل ، فقال (قدرى) بحركة

غريزية :

- ادخل يا من تطرق الباب .

للف إلى الحجرة أحد الجنود ، وأذى التحية العسكرية

فى احترام ، قيل أن يقول :

- المدير يطلبك فى مكتبه فوراً ، يا سيادة العقيد .

التفت إليه (أدهم) ، منقياً كل أفعاله خف ظهره ،
وهو يقول :

- سأذهب إليه على الفور .

قالها فى حزم واضح ، وقوة تشير الإعجاب ، وكأنها
نفض قلبه بكل مشاعره بقة ، وارتدى ثوبه الخاص
جداً ..

ثوب الرجل ..

رجل المستحيل ..

★ ★ ★

أشار مدير المخابرات إلى (أدهم) بالجلوس ، وهو
يدفع إليه صورة ضوئية ، قتيلاً :

- قل لى يا (ن - ١) : هل تعرف هذا الرجل ؟

ألقى (أدهم) نظرة سريعة على الصورة ، قيل أن
يقول فى هدوء :

- اسمه (يانيل پرونسكى) .. قاتل محترف ، يعمل

ضمن فريق الاغتيالات الخاص بـ (الموساد) ، من
(الصابرا) (*) ، أصونه بوتندية ، فى الثامنة والثلاثين

(*) الصابرا : تجلج لجديد من قسبان ورجال والنساء ، قذيين
ولفوا فى (إسرائيل) ، بعد إعلان قيامها كنولة ، عام ١٩٤٨ م ،
ووصول المهاجرين إليها .

من عصره ، يحمل الرمز الكودي (ياز - ٧٠٦) ، قام بتنفيذ عملية اغتيال البلجيكي (آلان جوايه) ، والألماني (هاتز فرديك) ، وغيرهم من السياسيين ، الذين يعارضون فكرة قيام (إسرائيل) ؛ تنفيذاً لخطة مستمرة ، تستهدف كل المعادين لتنظيم الاستعمارية ، ويعتقد أنه وراء عملية اغتيال السياسي الفرنسي (مورييس شيفال) في العام الماضي .

أوما المدير برأسه مؤيدا ، وايتسم وهو يقول :
- تعجبني ذاكرتك الموسوعية هذه يا (أدهم) ، ولكن أضف إلى معلوماتك أن (يائيل برونسكي) هو المسئول أيضا عن اغتيال السياسي الأمريكي (بيرو ستاسي) أمن .

سأله (أدهم) في اهتمام :

- هل توصل رجال مكتبتي في (فلزويلا) إلى هذا يا (سيدي) ؟

هز المدير رأسه نفيا ، وهو يجيب :

- بل أقر يا (يائيل) نفسه .

اتعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يسأل في حذر :

- ما الذي يمكن خلف هذا يا سيدي ؟

أجابته المدير ، وهو يتراجع في مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه :

- بعد تنفيذ عملية اغتيال (ستاسي) ، حاول (الموماند) التخلص من (يائيل) ؛ لإصراره على التقاعد بعد العملية ، ولكنه نجح في الفرار منهم ، على الرغم من إصليته برصاصاتهم ، ولجا إلى سفارتنا في (كراكس) ، وهناك تقدم بطلب رسمي بحق اللجوء السياسي .

هتف (أدهم) في دهشة :

- حق اللجوء السياسي إلى (مصر) ؟ .. إنها سابقة تعد الأولى من نوعها يا سيدي ، أن يسعى رجل مخابرات إسرائيلي لطلب حق اللجوء السياسي لـ (مصر) .. وافقه المدير بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

- هذا صحيح يا (ن - ١) .. إنها السابقة الأولى من نوعها ، ولكن (يائيل) كأي رجل مخابرات محترف ، يحمل الكثير والكثير من الأسرار ، التي تستحق بذل الجهد للحصول عليها ، فلقد نجأ (يائيل) إلى سفارتنا هناك ، مع خطيبته الصحفية الإسرائيلية (نينا شيريدان) ، وطلب عقد صفقة خاصة ، فاستقبله منحلقا عسكريا ، واستدعى طبيبا لمداواة جراحه ، وإخراج الرصاصات من جسده ، ثم سأله عما يريد ، فأعلن (يائيل) استعداداه لمنحنا كل ما لديه من أسرار ، مقابل منحه حق اللجوء السياسي لـ (مصر) .

قال (أدهم) في اهتمام :

- لو أنها ليست خدعة ، فالصفقة عادلة في رأيي .

قال المدير :

- هذا صحيح ، ونقد وافقت القيادة السياسية على عقد الصفقة ، لما فيها من فائدة لنا ، ولكن الأمر لا يمكن أن يتم بهذه البساطة ، فقد خرج الطبيب من السفارة ، ليبلغ الإسرائيليين بالأمر ، ونقد جن جنونهم بالتطبيع ، وأحاطوا السفارة بجواسيسهم ، وسيبذلون قصارى جهدهم حتماً ؛ لتتخلص من (يائيل) ، قبل أن يصل إلى هنا .

صمت (أدهم) لحظات ، قبل أن يقول :

- إذن فالمشكلة تكمن في كيفية إخراج (يائيل) من السفارة ، وإحضاره سالماً إلى هنا .
أشار المدير بسبائته ، قائلاً :

- وهي ليست بالمهمة السهلة أو الهينة يا (ن - ١) ،
فصحيح أن الإسرائيليين لن يبلغ بهم الجنون حد مهاجمة السفارة لانتزاعه بالقوة ، إلا أنهم لن يتورعوا عن القيام بأي عمل كان ؛ لتتخلص منه ، حتى ولو هاجموا كل سيارة تغادر السفارة ، أو نسفوا أي صندوق دبلوماسي يخرج

منها ، على الرغم من القوانين التي تحمي الحقيقة الدبلوماسية في العالم كله (*) .

.. وأنت تعرف كيف يتجاهل الإسرائيليون كل العهود والمواثيق الدولية ، لو أنها تتعارض مع مصالحهم الخاصة ، ثم إن حيلهم والأعيهم لا تنتهي .

ثم تراجع مرة أخرى في مقعده ، قبل أن يضيف :

- ثم إن الأمر لا يخص الإسرائيليين وحدهم .
أطلت نظرة تساؤل من عيني (أدهم) ، فتابع المدير مقتباً :

(يائيل) يؤكد أن ماله من أسرار يمن المخابرات المركزية الأمريكية أيضاً ، والحكومة الأمريكية بالتالي ، وهذا يعني أنهم سيضعون ثقتهم كله في النجبة ، مما يجعلها أكثر عنفاً وخطورة .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- نحن لها يا سيدي .

ثم نهض مستطرداً ، في نهضة أقرب إلى الجذل :

(*) الحقيقة الدبلوماسية : اسم يطلق على أية رسائل أو حقائب ، أو طرود ، مهما كان حجمها ، يتم إرسالها من أية سفارة إلى دولتها أو العكس ، وكل المواثيق الدولية تمنع فتح أو تفتيش الحقائب الدبلوماسية ، إلا بطلب رسمي ، وبحضور مندوب من السفارة .

- اننى اسئل بطبعى الى هذا النوع من التحديات.
فالتحديات المعقدة تستحث حماسى ، وتستثير رغبتى فى
الصراع .

وانسعت ايتسامته ، وهو يستطرد :

- دعنا نفتحم اللعبة انن يا سيدى : لتثبت لهم اننا الأكثر
براعة ، على الرغم من كل ما يحيطون به أنفسهم من
دعائس مدروسة ، وأساطير خيالية منسوجة ، واننا
سننتزع رجلهم من تحت أوقفهم ، ونتحدى ذكاهم
وخبراتهم علانية .. دعنا نريهم من يجيد اللعبة أكثر .

صمت المدير تملأ ، وهو يستمع إليه ، ثم قال :

- سنفعل بلان الله يا (ن - ١) ، ومفروضك الى
(كراتيس) بعد ساعة واحدة ، ولكن هناك أمر بالغ
الأهمية ، لابد أن ندرسه قبل أن تبدأ العملية .

واكتسى صوته برنة صارمة ، مع استطراده :

- هذه العملية بالغة الخطورة يا (ن - ١) ، لذا فلن
نسمح بالخروج عن الخطة الموضوعية قط .. هل تذكر
هذا ؟

أوماً (أدهم) برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

- بالطبع يا سيدى ، ولكننى أرغب فى إضافة عبارة
بالغة الأهمية ، فلن نسمح بالخروج عن الخطة
الموضوعية قط ، ما لم تقتض الأمور هذا أو تحتمه .

ابتسم المدير ، وهو يقول :

- هذا أمر بطبعى يا (ن - ١) ، فعندما تتأزم الأمور :

يتحتم الانتقال إلى الخطط التلقائية والعشوائية .. وهذا
ما تثبت فيه جدارتك دوماً ، والذي تم اختيارك للقيام
بالعملية من أجله .

تنهد (أدهم) ، وقال :

- فى هذه الحالة ، أعتقد اننى لا أطيق صبراً على

بدء اللعبة يا سيدى ..

وارسعت ايتسامة جذلة على شفتيه ، وهو يضيف :

- لعبة المحترفين .

وكانت هذه إشارة البدء .

★ ★ ★



٤- الخطة..

(كراكن) .. الحادى عشر من يونيو ..
التاسعة مساء ..

فركت (نينا) كفيها فى توتر بالغ ، وهى تقول
للملحق العسكرى المصرى ، داخل مبنى السفارة :
- مازلوا يحاصرون المبنى .. لا يبدو لى أنه هناك
أنى أمل فى النجاة .. لن يسبحوا لنا بالخروج من هنا
قط .. على قيد الحياة .
أجابها الملحق العسكرى فى هدوء :
- اهذى يا سبتى .. كلنا نعلم أن الأمر ليس سهلاً ،
ونكنهم أبلغونى من (القاهرة) أنهم أرسلوا محترفاً
لمعالجة الأمر .
هتف (ياليل) مستكراً :

- محترفاً ؟! .. هل تعنى أنهم أرسلوا رجلاً واحداً ،
لمواجهة ذلك الجيش فى الخارج ؟! .. هل لأصابعهم الجنون
يا رجل ؟! .. ألا يعلمون أن رجال (المومساد) يتنقون
تدريبات مكثفة ، تجعل الواحد منهم بمثابة فرقة كاملة ؟!
كان المقترض أن يرسلوا جيشنا جراراً .

قال الملحق العسكرى فى صرامة :
- إنهم يعرفون ما يفعلونه .

هتفت (نينا) تقول فى عصبية :

- ولكننى أتفق مع (يانيل) .. من المستحيل أن ينجح
رجل واحد فى خداع كل هؤلاء الرجال ، الذين اجتمعوا
على حتمية التخلص منا ! .. اتعقل لا يمكنه قبول هذا .
قال الملحق العسكرى ، وهو يشيح بوجهه :

- لا تعليق .

هتف (يانيل) :

- اسمع يا هذا .. إما أن أشعر بأثنى آمن تماماً ،
وأنكم تستطيعون حمايتى ، ويمكنكم معاونتى على السفر
إلى بلادكم آمناً سالماً ، أو أنفى الصلقة كلها .
ارتفع صوت ساخر ، يقول :
- يا للخسارة ! .. ثم يعد بإمكانك التراجع يا فتى .
التفت الجميع إلى مصدر الصوت فى توتر ، واتسعت
عينا (ياليل) ، وهو يهتف فى ذهول :

- (أنت) ؟!

تقدم (آدم صبرى) إلى داخل الحجرة فى هدوء ،
وهو يقول :
- أنت تعرفنى إذن .. عظيم .. هذا يجعل الأمور أكثر
سهولة .

هتف (يانيل) في حدة :

- بل أكثر تعقيدا .

سألته (نينا) في توتر بالغ :

- هل تعرف هذا الرجل يا (يانيل) ؟ .. هل التقيت به من قبل ؟

نهض الملحق العسكري يستقبل (أدهم) في حرارة ، في حين أجاب (يانيل) في عصبية :

- صحيح أنني لم ألتق به في حياتي قط ، ولكن كل من يعمل في (التموساد) يحفظ صورته عن ظهر قلب ، ويعلم أن ظهوره في الساحة يعني صراخا رهيبا ، وحسنا لا حصر لها .

قال (أدهم) ساخرا :

- إنك تغير في نفسي الغرور يا رجل .

أما (نينا) ، فقالت في دهشة :

- كنت أتصور أن هذه الأمور تخضع للسرية البالغة .

هتف (يانيل) ، وهو يلوح بسبابته :

- هذا الواقع أمامك هو الاستثناء الضروري ، لتأكيد

كل قاعدة .. إنه رجل المخابرات الوحيد ، الذي يعمل

بوجه عار وأوراق مكشوفة ، وعلى الرغم من هذا ،

فإنه يتصرف في النهاية ، ويكيدنا خسائر فاحشة .

تطلعت (نينا) إلى (أدهم) في التيهار ، مغممة :



تقدم (أدهم صبرى) إلى داخل الخجرة في هدوء ، وهو يقول :

- أنت تعرفني إذن .. عظيم ..

حقاً؟

أما (يائيل) ، فقال في عصبية :

- قل لي يا سيد (أدهم) : كيف وصلت إلى هنا ؟

هو (أدهم) كئيفيه ، وهو يجيب في بساطة :

- استأجرت واحدة من سيارات الأجرة .

هتف (يائيل) :

- ألم تبدل هيئتك أو ملامحك ؟

عاد (أدهم) بهز كئيفيه ، قائلاً :

- لم أكن بحاجة إلى هذا .

حنق (يائيل) في وجهه بذهول ، قبل أن يقول :

- أتعلني أنك وقتت السيارة أمام السفارة ، وغادرتها

تحت مصابيح الشارع الماطعة ، ودخلت إلى هنا بكل

سهولة ، دون أن تحاول حتى إخفاء شخصيتك ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يومئ برأسه ، قائلاً :

- بالضبط .

كاد (يائيل) ينفجر في سخط غاضب ، إلا أن شيئاً ما

في ابتسامة (أدهم) ، جعله يبتلع غضبه وسخطه ،

ويحنق في وجهه في حيرة وقلق ..

فقد كانت ابتسامة (أدهم) توحي بالغموض ..

بالتكثير من الغموض ..

★ ★ ★

٥٠

وقف (شيمون دار) سيارته ، عند الإفريز المقابل

للسفارة المصرية ، وتحسب تلك العصابة السوداء ،

التي تخفى عينه اليسرى ، قبل أن يتجه إليه أحد

رجاله ، الذين زرعه حول السفارة ، وهو يقول :

- أدون (دار) .. إننا ننتظرك بقارغ الصبر .

سأله (دار) في اهتمام :

- هل من جديد ؟

أشار الرجل إلى السفارة ، قائلاً :

- هل تعلم من وصل إلى هنا ، منذ ساعة تقريباً ؟

أطلق التساؤل من عيني (دار) ، دون أن يقص عنه

نستاه ، فقال الرجل نحوه ، وأضاف في توتر واضح :

- (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

خيل للرجل أن جسد (دار) قد انتفض في عنف ،

وأن عينه المنيرة قد جحظت لحظة ، قبل أن يكرر في

ارتياح ، بدأ واضحاً في صوته ولهجته :

- (أدهم صبرى) !!

ثم تحول أنفعاله كله دفعة واحدة إلى سخط غاضب ،

وهو يستطرد :

- إنني فقد أرسلوه .. اختاروه لتقييم بالعمل .

سأله الرجل في قلق :

- هل أرسل في طلب إمدادات ؟

٥١

قال (دار) فى حدة :

- إمدادات ١٢ .. إننا أكثر من نستة من المحترفين
يا رجل .. ألن يكفى عددا لمنع رجل واحد من مغادرة
السفارة مع رجلنا ١٢

أجابه الرجل فى قلق :

- ولكنه (أدهم صبرى) .

هتف (دار) محتدًا :

- حتى ولو كان الشيطان نفسه .. لن نسمح له بالفرار
مننا قط .

وصمت لحظات مفكرًا ، وهو ينقر بأصابعه على
عجلة القيادة فى عصبية ، قيل أن يقول :
- تأهبوا جميعًا ، واستعدوا لأى تصرف غير متوقع ،
و ...

قيل أن يتم عبارته ، دوى انفجار مكثوم ، على
مقربة من المكان ، وانقطع التيار الكهربى فى المنطقة
كلها بفتة ، فهتف (دار) :

- يا للشيطان !.. لقد فعلها (أدهم صبرى) .

ثم صاح فى رجاله :

- لا تسمحوا له بالفرار .. لقد نسف محوّل الطاقة
الكهربية للمنطقة ، حتى يمكنه استغلال الظلام لتكريب
(يائيل) .

لم يكد ينتهى من قوله ، حتى اندفع رجلان من
السفارة ، نحو سيارة متوقفة فى ساحتها ، وسمع الجميع
صوت (يائيل) فى وضوح ، وهو يهتف بالعبرية :

- أسرع يا رجل .. أسرع بآنه عليك .

قفز الإنسان داخل السيارة ، التى انطلقت بأقصى
سرعة ، وأطلقت إطاراتها صريرًا عنيفًا ، وهى تعبر
بوتبتها ، وتحرف فى الطريق الرئيسى ، فصاح (دار) ،
وهو يدير محرك سيارته :

- انزعوا .. لا تسمحوا لهما بالفرار .

انطلقت عشرات الرصاصات خلف السيارة ، وأصاب
بعضها جسمها ، و (أدهم) ينطلق بها بأقصى سرعته
وهو يتسم فى سخرية ، مغفمًا :

- هيا أيها الأوغاد .. لقد بدأت اللعبة ، وعليكم إثبات
تفوقكم فيها .

اندفعت ثلاث سيارات خلفه فى الشارع الرئيسى ،
المجاور للسفارة ، وانحرفت إحداها فى شارع فرعى ،
فى محاولة لقطع الطريق على سيارة (أدهم) ، عند
المخرج الرئيسى للشارع ، فى حين وصلت الأخرى
طريقهما خلفه ، فى محاولة للحاق به ، وسط زحام
الطريق ..

.. أريد إمدادات .. كثيرا من الإمدادات .. إننا نحاصر
(أدهم صبرى) و (يانييل) فى شارع (بوينس) .. أسرعوا
بحق الشيطان .

قالها ، وانتزع مسدسه فى توتر بالغ ، وهو يدرك أن
الإيقاع برجل مثل (أدهم صبرى) لن يكون سهلاً ..
لن يكون كذلك أبداً ..

وفجأة ، وقف أحد رجاله ..
.. سيدى .. النظر هناك .

التفت (دار) فى سرعة ، إلى حيث يشير الرجل .
ورأت عينه الواحدة (أدهم) ، وهو يثب من أحد الأسطح
إلى آخر ، فصاح :

.. فليلحق به ثلاثة منكم ، ولكن إياكم وفؤ الحصار
بالتكامل .. إنه يحاول إبعادنا عن (يانييل) .
أما (أدهم) ، فقد ابتسم فى سخرية ، وهو يثب إلى
سطح ثالث ، مغضباً :

.. هيا .. اثبتوا تفوقكم أيها الأوغاد .

كان بإمكانه أن يقفز إلى سطح رابع ، يمنحه فرصة
الابتعاد عنهم أكثر ، إلا أنه ، ولسبب ما ، توقف فوق
ذلك السطح الثالث ، وألقى نظرة على ساعته ، قائلاً :

.. عظيم .. كل شيء يسير وفقاً للخطة .. سبع دقائق
أخرى ، وتنتهى هذه الجولة على ما يرام .

ولكن فجأة ، انحرف (أدهم) بالسيارة فى شارع
فرعى ضيق ، انطلق فيه بأقصى سرعته ، فحققت به
السيارتان ، واستخدم (دار) جهازه اللاسلكى فى سيارته ،
ليقول للباقيين :

.. إنه يتجه إلى شارع (بوليفار) ، حاولوا قطع
الطريق ، عند المدخل الفرعى لشارع (بوينس) ، و ...
بتر عيارته فجأة ، ليهتف :

.. توقفوا .. إنه هنا .

كانت السيارة ، التى استخدمها (أدهم) للفرار ، متوقفة
وسط شارع (بوينس) الفرعى ، وباباها الأماميان
مفتوحان ، وقد خلت من راكبيها تماماً ..

وبصريه خفيف ، توقف (دار) بسيارته ، خلف سيارة
(أدهم) ، وتوقفت خلفه السيارة الأخرى . ووثب الجميع
من السيارتين ، فاشعار (دار) إلى نهاية الشارع ،
هاتفاً :

.. أغلقوا الشارع من الناحيتين .. لا تسمحوا بدخول
أو خروج أى شخص منه ، حتى نفقش كل منزل فيه .
أطاع رجاله الأمر ، وأحكموا حصار الشارع ، فى
حين التصن هو بمقر قيادته لاسلكياً ، وهو يقول فى
توتر :

لم يكذب ينتهي من قوله ، حتى لمح إشارة المصعد
السطح ، التي تشير إلى قنوم بعضهم ، فابتسم في شيء
من الجذل ، مستطرداً :

- ويبدو أنها ستكون سبع دقائق حافلة .

لم تمض بضعة ثوان على عبارته ، حتى وصل
المصعد إلى السطح ، واندفع منه الرجال الثلاثة ، وهم
يحملون مدافعهم الآلية ، وهتف أحدهم بزمينيته :
- أنت إلى اليمين ، وأنت إلى اليسار .. سأسيطر على
المنتصف .

اتطلق الثلاثة يفتشون السطح في شراسة ، ولكنهم
ما إن ابتعدوا عدة أمتار ، حتى سمعوا صوتاً من خلفهم ،
يقول في سخرية :

- لا تترهبوا أنفسكم أيها الأوغاد .. أنا هنا .

استدار الرجال الثلاثة إلى مصدر الصوت في سرعة ،
ووقع بصرهم على (أدهم) ، وهو يبرز من خلف المصعد ،
فارتفعت فوهات مدافعهم نحوه ، ولكن قبل أن يكتسب
ارتفاعها ، أصاحت قدم (أدهم) بأحدها بركنة عتيقة ، ثم
دار حول نفسه ، وقبض على ماسورة المنفع للثاني ،
وجذب صاحبه إليه في سرعة ، وضرب به زميله الثالث
بمبادرة مباغتة ، سقط لها الرجل أرضاً ، وزميله يهتف في
غضب :

- أيها الـ ..

جعله (أدهم) يتلع عبارته بكلمة ساحقة ، أضافت
إلى العبارة اثنتين من أسنان الرجل ، وجرعة من لمة ،
قبل أن يسقط فاقد الوعي ، و (أدهم) يدور حول نفسه
في رشاقة مدهشة ، ويركل الثاني في أنفه ، الذي تحطم
في عنف ، وتفجرت منه الدماء ، التي حاول أن يمسحها
بكله ، لولا الكلمة التالية ، التي أسقطته إلى جوار
زميله فاقد الوعي بدوره ..

ورثب الثالث ، محاولاً استعادة مدفعه ، وكانت يده
تلتقطه بالفعل ، لولا أن سبقته قدم (أدهم) إليه ، وركنته
بسيدياً ، وصاحبها يقول :

- من كنت تأمل حقاً في هذا ؟

هب الرجل واقفاً ، وحاول أن يلطم (أدهم) بكل قوته ،
إلا أن هذا الأخير أزاح رأسه جانباً في يسر ، دون أن
يحرك قدميه ، وتنادى الكلمة قاتلاً :

- آد .. أنت من الطراز الذي لا يتعظم أبداً .

ثم كاد للرجل لكمة كالقنبلة ، مستطرداً :

- والذي يحتاج إلى دروس قاسية لإقناعه .

سقط الرجل في عنف ، وتخرج بضعة مرات ، قبل أن
يستقر فاقد الوعي ، إلى جوار زمينه ، فابتسم (أدهم) ،
ونفض كفيه ، مغمغماً في سخرية :

- والآن .. هل استوعبت الدرس ؟

أتاه صوت صارم غاضب ، يقول :

- ليس بعد يا سيد (أدهم) .

استدار (أدهم) بسرعة إلى مصدر الصوت ، ورأى
(دار) يقف عند مدخل المصعد ، مصوباً إليه نظرة
نارية ..

ومدفعاً ..

مدفعاً آلياً قاتلاً :

★ ★ ★

لو أن ذلك المشهد جزء من فيلم سينمائي ، لبدأ
للمشاهدين وكان شريط الفيلم قد توقف بقعة عن
الدوران ، وظل يعرض مشهداً ثابتاً لعشر ثوان أو يزيد ..
فطوال هذه الفترة ، لم تصدر عن (أدهم) أو خصمه
لنى حركة ، وكل منهما يتطلع إلى عيني الآخر فى صمت
وتحد ..

ثم قطع (أدهم) ذلك الصمت بقعة ، وهو يقول فى
سخرية :

- رائع .. أهنئك يا (دار) .. هذا يثبت أنك مازلت تفهم
أعمال المخابرات .

سأله (دار) فى صرامة :

- أين أخفيت (ياتيل) ؟

عند (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول
ساخراً :

- حاول أن تخمن .

أجاب (دار) فى عصبية :

- الأمر لا يحتاج إلى العبقرية يا رجل .. إنه هنا فى
مكان ما .

هز (أدهم) كتفيه ، قاتلاً :

- قيم سؤالك إذن ؟

لوح (دار) بمدفعه فى صرامة ، وهو يقول :

- محاولة لاختصار الوقت فحسب أيها المصرى ، فرجائنا
بخصصون المكان كله ، ويفتشون كل شقة فيه ، وسيعثرون
عليه حتماً .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

- هذا لو أنه هنا .

قال (دار) فى حدة :

- لا تحاول خداعى بهذا الأسلوب الساذج يا رجل ..
كلنا رأينا (ياتيل) ، وهو يركب السيارة معك ، وتطلق
أنت بها هارباً من السفارة ، و ...
قاطعه (أدهم) بسرعة :

- أنت واثق من أنكم رأيتموه ؟

أجابته (دار) :

- لا داعي لهذه الأساليب للسخيفة . صحيح أنك تسببت في قطع التيار الكهربى عن المنطقة ، ولكننا سمعنا جميعا (يائيل) ، وهو يقول :

- قاطعه (أدهم) مرة أخرى ، مكملاً :

- أسرع يا رجل .. أسرع بآنله عليك .

نطقها بالعبرية ، وبصوت يستحيل تمييزه عن صوت (يائيل) ، فاستعت عين (دار) في ذهنه ، وهو يهتف :

- مستحيل .. لقد خدعنا .

استغرق ذهنه لحظة واحدة ..

ولكنها كانت تكفى (أدهم) ..

بن كانت كل ما يحتاج إليه ..

ففى تلك اللحظة ، وثب (أدهم) إلى الأسام ، وقبض على معصم (شيمون دار) ، وأجبره على إدارة فوهة مدفعه بعيداً ، وهو يقول :

- إنك ترتكب الخطأ نفسه ، الذى ارتكبه أقرانك يا (دار) .

ثم هوى على فكه بكلمة كالتقبلة ، مستطرداً :

- تحدثت أكثر مما ينبغى .

وأعقبها بأخرى ساحقة فى أنفه ، متابعاً :

- وخسرت فرصتك .

تؤذ (دار) فى ألم ، وتراجع فى عنف ، فى حين يلقى مطغعه فى يد (أدهم) الذى هوى بكعبه على فك (دار) ، مضيقاً فى حسم :

- ومنحتنى فرصتى .

هوى (دار) فاقد الوعي ، عند قدمى (أدهم) ، الذى ألقى المنفع إلى جواره ، قتلاً فى سخرية :

- أعتقد أنك خسرت هذه الجولة يا (دار) .. خسرتها عن جدارة .

قالها ، وواصل قفزته ، من مطح إلى آخر ، تاركاً خلفه ذلك السؤال الفاض ..

أين ذهب (يائيل) إذن ؟

أين ؟

★ ★ ★

« أخذ منزلنا الأمانة .. » (*)

نطق المُنْحَق العسكرى العبارة فى هدوء ، إجابة لسؤال (نينا) التى فركت كففيها فى عصبية ، قائلة :

(*) المنزل الآمن : مصطلح يستعمله رجال المخابرات ، للإشارة إلى منزل أو مكان ، غير معروف لخصومهم . يمتلكهم الاجتماع فيه ، أو مقاومة الصلاء ، دون الخوف من المراقبة أو التتبع .

- تست أدري ما الذي يعنيه المصطلح ، ولكن يبدو
أنه يعني أن أحد منهم لن ينجح في التوصل إلى مكاننا هنا .
غمغم (يتأيل) :
- بالضبط .

وتنهّد في عمق ، قبل أن يضيف :
- الواقع أنني لم أكن أتصور أن ننجح في الوصول
إليه ، ولا في أن نغادر مبنى السفارة أحياء .
ابتسم الملحق العسكري ، وهو يقول :

- الفضل لله (سبحانه وتعالى) ، وبراعة سيادة
العقيد (أدهم) ، فمع انقطاع التيار ، وانقطاعه من المبنى
إلى السيارة ، مع أحد رجال الأمن ، وهو يقلّد صوتك
براعة منقطعة النظير ، بالإضافة إلى ما أحدثه من
جلبة وتوتر ، بمبادرته غير المتوقعة ، كان من الطبيعي
أن يرتبك الجميع ، وأن يندفعوا إلى البوابة الأمامية
للسفارة ، وبعدها إلى مطاردة السيارة ، مما منحنا فرصة
مثالية للفرار من المخرج الخلفي ، والوصول إلى هنا .
قالت (نينا) مبهورة :

- لهذا تعمد أن يروه في وضوح ، عندما وصل إلى

السفارة !

هز الملحق العسكري كتفيه ، وهو يقول :



تأوه (دار) في ألم ، ولراجع في عنف ، في حين بقي ملدعه في يد
(أدهم) الذي هوى بكعبه على فك (دار) .

— إنه جزء من الخطة .

عقد (يائيل) حاجبيه ، وهو يقول فى عصبية :

— كان ينبغي أن نستغل الموقف ، ونتجه مباشرة إلى المطار ، أو إلى الحدود .

أجابه الملحق العسكرى :

— مستحيل !... صحيح أننا نجحنا فى مغادرة السفارة ،

والانتقال إلى بقعة لا يعرفها أحد ، ولكن الإسرائيليين ما زالوا يسيطرون على الحدود والمطار ، والاندفاع إلى أيهما كان كفيلا بإفساد الأمر كله .

قال (يائيل) فى توتر :

— إذن فكل ما حدث هو أننا انتقلنا من سجن إلى سجن فقط .

أجابه الملحق العسكرى فى صرامة :

— خطأ يا رجل .. لقد انتقلنا من مكان يعرفه قومك ، إلى آخر يجهلونه ، وهذا إنجاز عظيم بالنسبة للموقف ، حتى هذه اللحظة .

قال (يائيل) فى حلق :

— من الواضح إذن أنك لاتعرف قومى جيدا .. إنهم سيبدكون الخدعة فى سرعة ، وربما أنقوا القبض على (آدم) هذا ، أو على رجل الأمن الذى صاحبه فى خدعته ، وسيحصلون على ما يبتغون حتما .

ابتسم الملحق العسكرى ، وهو يقول :

— بل من الواضح أنك لست الذى يجهل قومى يا رجل ..

عبارة (الموساد) هؤلاء لن يمكنهم أبدا العثور على رجل الأمن ، وهذا لأنهم يبحثون عنه وعن (آدم) ، وليس عنه ، أما بالنسبة لـ (آدم) ، فانت تعلم مثلى أن وقوعه فى قبضتهم أمر شبه مستحيل .

ثم مال نحوه ، مستطردا فى حزم :

— إنه محترف يا رجل .. محترف حقيقى .

لم يكذب بتم عبارته ، حتى انبعث صوت يقول :

— أنت واثق من هذا ؟

والتفت الجميع فى سرعة إلى مصدر الصوت ..

وكانت مفاجأة ..

مفاجأة مذهشة .

★ ★ ★



٥- المحترفون ..

(كراكس) .. الحادى عشر من يوليو ..
منتصف الليل ..

اتعقد حاجبا المفتش (ياردو) فى غضب شديد ، وهو
يشغل سيجارته فى عصبية ، ويقول محتداً :

- ماذا حدث بالضبط ؟؟ .. كيف تتحول شوارعنا إلى
ساحات قتال ، فتنتطق فيها الرصاصات ، ويتم تفتيش
المنازل الآمنة ، وينور القتال على الأسطح ، وكأنه لم
يعد هناك وجود للأمن أو أنظمة الشرطة فى البلاد ؟؟ ..
كيف ؟؟

بدا الغضب فى صوت (دار) ، وهو يقول :

- ربما ليس لها وجود بالفعل يا رجل ،
التفت إليه المفتش ، قائلاً فى غضب :

- حقاً ؟؟ .. كيف تفسر إذن وجود تلك الأغلال ، التى
أحطنا بها معصميك ، بعد أن عثرنا عليك أنت ورجائك
فالقذى الوعى ، فوق أحد الأسطح ؟؟
أجابها (دار) فى حدة :

خطأ غبى ، سيتم تصحيحه بسرعة .

جنبه (ياردو) من سترته ، وتطلع إلى عينه الواحدة
السليمة ، وهو يقوّن فى صرامة :

- ربما .. أنك تغرينى بإصلاحه بنفسى ، بضربة
مباشرة فى عينك الأخرى .
اشتعلت نيران الغضب فى ملامح (دار) وصوته ،
وهو يقول :

- الرجل انذى فقاً تلك العين ، سيلقى أسوأ مصير
يمكن أن يراوده ، فى أبشع كوابيسه ، أما أنت ..

قاطعها (ياردو) فى حدة :
- أما أنا فمأزاً أيها الوقح ؟؟ .. هل تتصور أنك مازلت
تستطيع التحدث بكل صفاقة ، فى الوقت الذى ...
» .. (ياردو) «

قاطعته تلك الصيحة الهادرة ، التى نطقت اسمه بصرامة
شديدة ، فالتقى حاجباه فى توتر ، وهو يلتفت إلى مصدرها ،
ووقع بصره على وجه كبير المفتشين (بوناسيو) ،
الذى يندفع نحوه ، ويشير إلى (شيمون دار) - مستطرداً :
- أطلق سراح هذا الرجل .

ارتفع حاجبا المفتش (ياردو) فى دهشة ، وهتف
مستكراً :

- أطلق سراحه ١؟.. كيف ٢؟.. إنه ...

صاح كبير المفتشين في ثورة ،

- هذا أمر ؟

مط (باردو) شقيقه في غضب ، وهو يحل الأغلال
عن معصمي (دار) ، الذي ابتسم في سخرية ، قائلاً :

- ألم أقل لك ؟

انتزع (باردو) الأغلال في حق ، وهو يقول :

- لم ينته الأمر بعد ، والحكمة تقول : من يضحك

أخيراً ..

قاطعه (دار) :

- هذا لو وجد الفرصة ليضحك .

رمقه المفتش (باردو) بنظرة نارية ، ثم أشاح

بوجهه عنه ، وكبير المفتشين يستطرد في عصبية :

- وأطلق سراح رجاله أيضاً .

مسح (دار) معصميه ، وهو يتجه نحو كبير المفتشين ،

وقال في حدة غاضبة :

- لماذا تأخرت ؟

تلفت (يونسو) حوله في توتر ، وهو يجيب :

- لقد حضرت فور أن أبلغوني بالأمر ، وحاول أن تخفض

صوتك ، فأنت تعرضني لخرج بالغ .. المقروض أنني

كبير المفتشين هنا .

أجابه (دار) في عصبية :

- ربما ، ولكنك تتقاضى منا أضعاف أضعاف ما تتقاضاه

من عملك ، والمفروض أن نحصل على مقابل لهذا .

قال (يونسو) في حدة :

- وأى مقابل أفضل مما تحصلون عليه بالفعل ١؟..

لقد جئت كل أفرع الشرطة لخدمتكم هذه المرة ، وحتى

حرس الحدود والسواحل ، ولا يمكن نرجلكم أن يغادر

البلاد سالمًا ، حتى ولو تنكر في هيئة نياية ، وهاتذا

أطلق سراحك وسراح رجالك ، بعد أن حوكتكم شوارعنا

لساحة قتال ، واستبحتم كل شهر فيها .. ما الذي تريدونه

بعد كل هذا ؟

أجابه (دار) في صرامة :

- الكثير .. لقد نجح ارجل في الفرار من مهنى

المفارة المصرية بالفعل ، بفضل خطة متقنة ، نفذها واحد

من ألد وأقوى خصومنا ، وهذا يزيد الموقف تعقيدًا ،

ويجعله أكثر ...

قاطعه أريز خافت ، قبل أن يتم عبارته ، فاختطف

جهاز اللاسلكى من حزامه ، وقال في لهفة ، وباللغة

العبرية ، التى يجهلها كبير المفتشين :

- هنا (دار) .. ماذا حدث ؟

ولم يكد يسمع ذلك الحديث ، الذى نقله إليه اللاسلكى ،

بنفس اللغة العبرية ، حتى تأملت عيناه ، وهتف :

- رائع .. نحن فى طريقنا إليك على الفور .

وأعد جهاز اللاسلكى إلى حزامه ، وهو يقول لكبير المفتشين فى الفعل :

- يبدو أننا محتاج إلى معاونة عاجلة منك يا (بوناسيو) .. معاونة ستحتم عليك أن تحشد أقوى رجالك ، حتى تريح هذه الجولة من الضربة الأولى ، فالدلائل تشير إلى أنها ستكون جولة حاسمة .

وبرقت عيناه فى شدة ، وهو يستطرد :

- وأخيرة ..

* * *

اتعقد حاجبا الملحق العسكرى ، وهو يحدق فى وجه ذلك القادم الجديد . وشهقت (نيلسا) .. وهى ترتد فى عنف ، فى حين اتكفض قلب (يائيل) بين ضلوعه ، وهو يهتف فى دهشة هلعة :

- (جونهى) ؟ !

أجابه الرجل فى صرامة ، وهو يصوب مسدسه الآلى إلى الجميع :

- بالضبط يا (يائيل) .. (نون جونهى) .. زميلك السابق فى فرقة الاغتيالات ..

طريف منك أن تذكرتنى ، على الرغم من مرور عدة أعوام ، على آخر لقاء لنا .

شحب وجه (يائيل) ، وهو يعانته :

- كيف وصلت إلى هنا ؟

أطلق (جونهى) ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول :

- يبدو أن كل شخص هنا يتصور أنه المحترف الوحيد فى اللعبة .. إننى أعترف بأن رجلكم (أدوم صبرى) قد أدى دوره بمهارة مذهشة كالمعتاد ، ونجح فى تشتيت الانتباه ، ودفع الجميع إلى واجهة المقامرة .

وبرقت عيناه ، وهو يشير إلى صدره ، مستطردا :

- الجميع فيما عداى .. أنا وحدى اتبعت إلى الخدعة ، وكمنت فى نقطة خفية ، حتى رأيت سيارة تغادر الباب

الخلفى ، وتبتعد عن المقامرة فى حذر .. وعلى الرغم

من أننى لم أتبين وجود ركابها ، من خلف زجاج

نوافذها الداكن ، إلا أننى تبعتها بوحى من غريزتى ،

التي اكتسبتها من طول عملى فى فرقة الاغتيالات ، ولم

أسمح لها بخداعى ، أو الإغلات منى ، على الرغم من

المناورات العديدة ، التي قامت بها ، حتى وصلت إلى

هنا .

واستعاد ابتسامته الساخرة ، مضيفا :

- والباقى لم يعد صعبا .. مجرد تسليح عبر النوافذ

الخلفية .

شعر الملحق العسكرى بالضيق ، نما بعينه وجود
(جولهي) ، من غشله في تهريب (يائيل) ، و (نينا) -
وبكت الأخيرة في ارتياح ، مؤقتة من أن نهيتها صارت
قالب قوسين أو أدنى ، في حين قال (يائيل) في
عصية :

- ماذا تنوي أن تفعل يا (جولهي) ؟

أجابه (جولهي) في سخرية :

- ياله من سؤال يا صديقي القديم !

ثم جذب مشط مسدسه ، وتركه يرتد في قوة ،
مستطردا :

- مانتقد الأوامر بالطبع .

هتف (يائيل) :

- ولكنهم حاولوا قتلني يا (جولهي) .. حاولوا قتلني
لمجرد أنني طلبت الاعتزال .. نفس ما سيفعلونه بك ،
إذا ما تقدمت يوما بالطلب نفسه .

أجابه (جولهي) في صرامة :

- كاذب .. كلنا نعلم أنك خنت الوطن .. هذا ما أخبرونا

به .

صاح (يائيل) :

- إنهم كاذبون .. يحاولون تبرير فعلتهم للفترة فحسب .

هتف (جولهي) :

- ليس هذا من شأنى .

ثم انتزع جهاز اللاسلكى من حزامه ، وضغط زر
الاتصال فيه ، وانتظر حتى سمع صوتا يقول بالعبرية :

- هنا (دار) .. ماذا حدث ؟

أجابه بنفس اللغة :

- أنا (جولهي) .. نقد عثرت على (يائيل) ، وأنا أسيطر

على الموقف .. إليك العنوان ..

وتم يكد ينهى إليه بالعنوان ، حتى ارتفع صوته ،

عبر جهاز اللاسلكى ، وهو يهتف :

- رابع .. نحن في طريقنا إليك على الفور .

أنهى (جولهي) الاتصال ، وأعاد جهاز اللاسلكى إلى

حزامه ، وهو يقول :

- يا للخسارة !.. كنت أتمنى لو أمرنى بقتلكم على

الفور ، بون إطاء .

بكت (نينا) في حرارة ، وهي تقول :

- إنها النهاية .. كنت أعلم أنها النهاية .

تحركت يد الملحق العسكرى في حذر ، في محاولة

لالتقاط مسدسه ، إلا أن (جولهي) استدار إليه في سرعة ،

وهتف صارفا :

- إياك أن تحاول .. إياك حتى أن تفكر في هذا .. هيا ..
النقط مسدسك ، والله أرضا ، مستخدما سبائك وإبهامك
فحسب .

بدا لحظة ، وكان الملحق العسكري سيطيع الأمر ،
ولكن فجأة ، توقفت (نينا) عن البكاء ، واشترط (يائيل)
بغضه ، وتألقت عينا الملحق العسكري ، مما جعل (جولهي)
يستدير خلفه في سرعة ، وانتفض جسده كله في عصف ،
عندما قبضت أصابع قولانية على معصمه ، وأبعدت
مسدسه ، في حين ارتطمت عينا بنظرة صارمة ، تجسدت
لها الدماء في عروقه ، مع ذلك الصوت القوي الساخر ،
الذي يقول :
- يؤسفني أن أقصد خطئك .

ضغط (جولهي) زناد مسدسه بحركة غريزية ،
فانطلقت منه رصاصة اخترقت الجدار ، قبل أن يلوى (أدهم)
معصمه بحركة قوية سريعة ، مستطردا :

- خطأ .. إطلاق النار هنا يستلزم تصريرا خاصا .
ثم هوى على فك الرجل بكلمة ساحقة ، هشمت أنفه
تماما ، وهو يضيف :
- وها هوذا .

غامت الدنيا أمام عيني (جولهي) ، وترشح في
عصف ، وحاول أن يتمالك توازنه ، إلا أن كلمة ثانية من
(أدهم) أسقطته فاقد الوعي ، فاندفع (يائيل) يختطف
مسدسه ، ويضربه إليه صائحا :

- أيها الوغد الحقير .
كان يهجم باعتصار زناد المسدس بالفعل ، ونسف
رأس (جولهي) الفاقد الوعي ، ولكن (أدهم) ركل
المسدس من يده ، وهو يقول غاضبا :

- هل جئلت يا رجل ؟! .. أتطلق النار على رجل فاقد
الوعي ؟!
صاح (يائيل) غاضبا :

- إنه يستحق هذا .
هتف به (أدهم) :

- اصمت .

كثرت الصيحة صارمة ، حتى أنها ألجعت لسان (يائيل) ،
فترجع في توتر ، وأفسح المجال لـ (أدهم) ، وهو
يستطرد :

- وجود هذا الرجل هنا يعني أن المنزل لم يعد آمنا
كما يفترض ، ومعنى هذا أننا سننتقل مباشرة إلى
الخطوة الاحتياطية ..

ثم أخرج من جيبيه خريطة ، فردها فوق المائدة ،
قائلا في حزم :

- الإسرائيليون يتوقعون مطاردة رجل وامرأة ، بصحبة
أحد رجال المخابرات المصرية ، إن قاتلوا الخطوة الأولى
في خططنا الاحتياطية هي أن نفسد توقعهم هذا ..
سنقسم إلى فريقين .. فريق يتكون من (نينا) والملحق
العسكري ، وسيتجه شرقا ، ويستقل زورقا بخاريا إلى
جزيرة (ترنداد) ، حيث ينتظرهما هناك أحد رجالنا ،
بجواز سفر دبلوماسي لـ (نينا) ، ويخت أتيق ، سيحملها
إلى (فورتاليزا) في (البرازيل) ، وهناك مستعد فريقا
من رجالنا ، يتولى نقلها إلى (القاهرة) .. أما الفريق
الثاني ، فيستكون من (يائيل) وأنا .

قالت (نينا) في عناد :

- لن أفترق عن (يائيل) أبدا .

أجابها (أدوم) في صرامة :

- لا مجال هنا للمناقشة .. الوقت والظروف لا يسمحان
بهذا .

ورببت (يائيل) على كتفها ، قائلا في أسف :

- إنه على حق يا (نينا) .. لن ننجو أبدا ، إلا
لو افترقنا .

ترقرقت في عينيها الدموع ، وتطلعت إلى عيني
(يائيل) ، مغمغة :

- سيكون ذلك شاقا .

غمغم في حنان :

- ولكن لا مفر منه .

كان الموقف عاطفيا للغاية ، أعاد إلى ذهن (أدوم)
ذكرى مغامراته السابقة مع (منى) ، فاختلج قلبه بين
ضلوعه ، وشعر بغصة في حلقه ، جعلت صوته يتحشرج ،
وهو يتصنع الصرامة ، قائلا :

- يؤسفني أن تقاطعكما ، ولكن الوقت أضيق من أن
نضيعه في مواقف عاطفية كهذه .. لقد رأيت كيف
يتعامل الإسرائيليون هنا ، وهذا يؤكد أنهم على علاقة
وثيقة بالسلطات الفنزويلية ، وأنهم سيصلون إلى هنا
خلال سبع دقائق على الأكثر ..

ثم أدار عينيه إلى الملحق العسكري ، مستطردا :

- انتقل أولا إلى المنزل الآمن رقم اثنين ، ثم ابدأ
تنفيذ خط السير في الواحدة والنصف صباحا بالضبط .
وأمسك يد (يائيل) ، قائلا :

- هيا بنا .

تحرك الفريقان في لهفة ، ثم هتفت (نينا) في لوعة :

- (يائيل) .

انقلت إليهما الإسرائيلي ينظرة حانية ، فاستطردت
بأكية .

- علفي أن قبذل قصارى جهتك ، للمحافظة على حياتك .
أزرد لعابه في صعوبة ، وهو يغتم :
- أعدك .

ثم أثناع يوجهه ليخفي دموعه ، مستطردا :
- هيا يا سيد (أدهم) .. هيا بنا .

كان الأثم يشتعل في مواضع إصاباته ، في فخذيه
وكتفه ، إلا أن هذا لم يمنعه من السير إلى جوار (أدهم)
بأقصى سرعته ، وهذا الأخير يقول :

- إنما لم ننتخب هذا المنزل عبثا ، فهناك ممر في
الطابق الثاني ، يربط المبنى كله بالمبنى المجاور ، مما
يمنحنا فرصة انقار ، إذا ما حاصروا المنزل .

كانا نطلقان عبر ممر الربط ، عندما ارتفعت أبواب
سيارات الشرطة ، وهي تتوقف عند مدخل البناية ، وتعالى
وقع أقدام الرجال ، عبر درجات سلمها ، فقال (يائيل)
متوقرا :

- نقد وصلوا بأسرع مما كنت أتوقع .

ألقي (أدهم) نظرة على ساعته ، وهو يقول :
- بل خلال سبع دقائق بالتحديد .

بلغا البناية المجاورة خلال ربع دقيقة فحصب ، وهبطا
في درجات سلمها إلى الطابق الأرضي ، وهناك قال
(يائيل) متوقرا :

- والآن ماذا ينبغي أن تفعل .. هل نجرى مبتعدين ؟

أجاب (أدهم) في هدوء :

- بل نحصل على وسيلة مواصلات مناسبة .

سأته (يائيل) في قلق شديد :

- كيف ؟

لم يجب (أدهم) على الفور ، وإنما ألقي نظرة حذرة
على جانبي الشارع أولا ، قبل أن يجذبه من يده ، ويغتران
المبنى ، وهو يقول :

- أترك كل شيء لوقتكم .

قائلا ، وهو يتجه معه إلى سيارة رياضية صغيرة ،
تقف أمام بوابة المبنى مباشرة ، وفتح بابها ، مستطردا :

- أسرع يا رجل .

قفز (يائيل) داخل السيارة ، وهو يهتف في دهشة :

- أهي سيارتك ؟

أجاب (أدهم) في بساطة :

- لقد تركتها هنا احتياطيا ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتفعت صيحة تهتف :

- إنهما هنا .

أدار (أدهم) عينيّه في مرعة إلى مصدر الصوت ،
ووقع بصره على عنه من رجال الشرطة يندفعون نحو
السيارة ، من أول الطريق ، وعنى رأسهم (شيمون دار)
يعينه الواحدة ، والعصابة التي تخفى عينه الثانية ، فوثب
داخل السيارة ، وأدار محركها ، هاتفاً :

- يبدو أن قومك أكثر نكاء مما كنت أتصور يا رجل .
وضغط بواسطة الوقود بكل قوته ..
وانطلقت السيارة ..

ومن خلفها ، انطلقت رصاصات (دار) ورجال الشرطة ،
وسمع (يائيل) صوتها ، وهي ترتطم بجسم السيارة ،
وزجاجها الخلفي ، فهتف وهو ينحني في مقعده :

- لم تتجح خطتك يا رجل .

ولم يعلق (أدهم) ..

لقد كان ينطلق بأقصى سرعته نحو مخرج الشارع ،
عندما اندفعت واحدة من سيارات الشرطة بغتة ، لتقطع
الطريق ، وتتوقف بعرضه ، ووثب منها أربعة رجال ،
راحوا يطلقون النار على السيارة يدورهم ..

السيارة التي وقعت بين شقي الرحي ..

أو بين المطرقة والسندان ، ولم يعد لها أمل في الفرار ..
أنى أمل .

★ ★ ★

٦- المطاردة ..

لهتت (نينا) بعزيج من التوتر والارتعاج ، وهي تصعد
في درجات السلم قفزاً ، إلى جوار الملحق العسكري ،
في البناية نفسها ، وسألته في توتر شديد :

- إلى أين نذهب ؟ .. أليس من المفروض أن نتجه
إلى العنزل الآمن رقم اثنين ؟

أجابها ، وهو يتجه نحو شقة في الطابق الأخير :

- وهذا ما نفعه بالضبط .

ارتفع حاجبها في دهشة عارمة ، وهو يطرق الباب ،
وهتفت :

- ماذا هو ؟

فتح رجل نحيل أشيب الشعر باب الشقة ، وبدأ وكأنه
ينتظرهما بالتحديد ، وهو يشير إليهما ، قاتلاً :

- ادخلا بسرعة .

جذبها الملحق العسكري من يدها إلى داخل الشقة ،

وهو يقول للرجل :

- هل أعدت كل شيء ؟

أجابه الرجل فى حزم :

- كل شيء على ما يرام .

التفت الملحق إلى مقعد متحرك ، جنست فوقه عجوز متهاكة ، ذات شعر أشيب طويل ، وثوب بسيط ، ومنظار طبي سميك ، وسأل الرجل :

- وكيف حال سنيورا (كاجينى) ؟

ابتسم الرجل فى سخرية ، لا تتناسب مع الموقف ، وهو يجيب :

- ما زالت تنتظر اللحظة المناسبة ، لتحصل على شيء من الأهمية .

ثم اتجه نحو العجوز ، التى لم تبدر عنها حركة واحدة ، منذ وصول (نينا) والملحق العسكرى . وانزعجها من المقعد المتحرك فى قسوة عجيبة ، شهقت لها (نينا) فى هلع ، وصرخت عندما اتجه بها الرجل نحوها :

- ماذا تفعل أيها المجنون ؟ .. إنك ستقتلها !

ابتسم الرجل فى سخرية ، وهو يقول :

- لا يمكنك فعل شيء لاهياة فيه يا سينورينا .

اتجهت (نينا) ، فى هذه اللحظة فقط ، إلى أن تلك العجوز ليست سوى دمية مطاوعة ، انزع عنها الرجل للشعر الأشيب المستعار ، والمنظار الطبي للسميك ، والثوب البسيط ، والملحق العسكرى يقول :

- هذا هو خط دفاعنا الثانى ، فالسنيور (كاجينى)

يعمل لحساب المخابرات المصرية منذ زمن ، وكل الجيران

هنا يعلمون أنه يرضى زوجته العجوز سنيورا (كاجينى) ،

ويقيم معها ومع ولده (ألبرانو) منذ عام كامل ، ولكن

أحدهم لم يتبادل تحية واحدة من السنيورا العجوز ،

لتنس تجلس بمقعدها المتحرك فى الشرفة ، فى الأيام

الدافئة ، وتختفى داخل المنزل فى الأيتم والليالى الباردة ،

أما ابنتهما (ألبرانو) ، فبعد إضافة شارب كث ، وشعر

مستعار ضخم ، أصبح نسخة طبق الأصل منه .

شارت إلى ثياب الدمية ، التى طواها الرجل فى

عناية ، ووسنها فى أحد الأراج ، وهى تقول :

- هل تعنى أنتى ..

قاصعها الملحق العسكرى فى جسم :

- نعم يا سيني .. سترتدين ثياب سنيورا (كاجينى) ،

وتجلسين صامتة على مقعدها المتحرك ، بشعرها الأشيب ،

ومنظارها الطبي السميك ، حتى ينتهى التفقيش ، وبعدها

تبدأ رحلتنا ، طبقا للخطة الاحتياطية .

فتفت مبهورة ، وهى تنتقط ثياب الدمية :

- يا للهراة ! .. ترى هل سيحظى (بائيل) بخطة

مماثلة ؟

هذه المنحى العسكري كتفيه ، وهو يقول :
- لا يمكننى إجابة سؤالك فى الواقع يا سيدتى ، نفسى
عالمنا لا ينبغي أن يعرف المرء أكثر مما يحتاج إليه .
ثم شرد ببصره ، مستطردا :

- ولكن الشيء الذى ينبغي أن نشق به ثقة مطلقة .
هو أنه فى يد أمانة للغاية ، وتحت رعاية الله (سبحانه
وتعالى) ، متمثلة فى واحد من أبرع رجال مخابراتنا
على الإطلاق .

وسرت فى جسدها قشعريرة عجيبة ، والمنحى العسكري
يضيف فى حزم :

- رجل المستحيل .

* * *

لم يحاول (أدهم) حتى التخفيف من سرعته ، وهو
يواصل الانطلاق نحو نهاية الطريق ، على الرغم من
سيارة الشرطة التى اعترضت طريقه ، والرصاصات
التي تنطلق نحوه من الأمام والخلف ..

كل ما فعله هو أن هتف :

- اخفض رأسك يا (ياكيل) .

ومال بسيارته إلى أقصى اليسار ، ثم أمال عجلة
القيادة بمهارة مذهشة ، فمالت على جانبها الأيسر ،

وارتفع إطارها الأخران عليا ، دون أن يتوقف اندفاعها ،
وتطلعت فوق إطارى اليسار وحدها ، على نحو اتسعت
له عيون رجل الشرطة فى زهمون ، وهتف أدهم مبهورا :
- رياه !.. نفس ما يحدث فى السينما .

قالها والسيارة تعبر الفراغ الضيق ، بين السيارة
وجدار المبني ، بهذه الزاوية المدهشة ، ثم تميل مرة
أخرى إلى اليمين ، وتعود إلى إطاراتها الأربعة ، لتواصل
انطلاقها مبتعدة ، والرصاصات تلاحقها فى جنون .

وفى دهشة بلا حدود ، هتف (ياكيل) :
- كيف أمكنك أن تفعل هذا ؟!.. كنت أظنه لا يحدث إلا
على شاشة السينما وحدها .

أجابه (أدهم) بابتسامة باهتة :
- لئلى أستخدم الأسلوب نفسه الذى يتبعه المخاطرون
فى السينما (*) .

ثم اعتقد حاجباه ، وهو يتطنجع إلى مرآة السيارة ،
مستطردا :

(*) المخاطرون : فئة خاصة ممن يلعبون دور البطل فى
السينما ، يتم تدريبهم على نحو خاص ، بحيث يمكنهم أداء الحركات
المعقدة وبالأغة الخطورة ، ويتم اختيارهم فى المقام من بين
لاعبى الكوربات ، أو محترفى سباقات السيارات ، أو رجال القوات
الخاصة المبتقين .

- ولكن المطاردة لم تنته بعد .

التفت (يانيل) في توتر ، وشاهد سيارات الشرطة الثلاث ، التي تطاردنهما في إصرار ، وقال :

- إنهم يملكون المدينة كلها . ولن يمكننا الفرار منهم إلى الأبد .

أجابه (أدهم) في حزم :

- المهم أن نبذل قصارى جهدنا .

قالتا ، وانحرف بفتة إلى شارع جانبي ، وزاد من سرعة السيارة إلى الحد الأقصى ، وهو يعبره إلى نهايته ، ثم ينحرف ثانية إلى شارع آخر ، و (يانيل) يقول :

- هل تحاول إرباكهم ؟

أجابه (أدهم) في حسم :

- بل أحاول منحك فرصة لمغادرة السيارة ، دون أن يشعروا بهذا .

هتف (يانيل) في دهشة بالغة :

- مغادرة السيارة ؟!

أجابه وهو ينحرف بسرعة مخيفة في شارع آخر :

- بالتأكيد .. لن أمنحهم أدنى فرصة لاستعادتك .

حدث فيه (يانيل) لحظة في دهشة ، قيل أن يقول :

- هل تفعل كل هذا من أجني ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي (أدهم) ، لم تستغرق أكثر من جزء من الثانية . قيل أن تختفي في أعماقه ، وهو يجيب في صرامة :

- إنما أفعل هذا من أجل (مصر) .

قالتا ، ومال بالسيارة إلى شارع آخر ، وصوت أبواق سيارات الشرطة يأتي من بعيد ، وهتف :

- هيا .. اهبط هنا .. اختبئ بين هذه المتاجر الصغيرة ،

ولا تفارق مكانك قط ، حتى أعود إليك .. هل تفهم ؟

غادر (يانيل) السيارة في سرعة ، قائلا :

- فهمت .

انطلق (أدهم) بالسيارة مرة أخرى . في حين تراجع

(يانيل) ليختفي بين المتاجر الصغيرة ، ولم يك يفعل ،

حتى برزت سيارات الشرطة الثلاث من الناصية ، وتجاوزته

بسرعة مذهلة ، لتواصل مطاردة (أدهم) . الذي انحرف

بسيارته عائداً إلى الشارع الرئيسي ، مغمغماً :

- أرجو أن تكون قد فهمت بالفعل أيها الإسرائيلي .

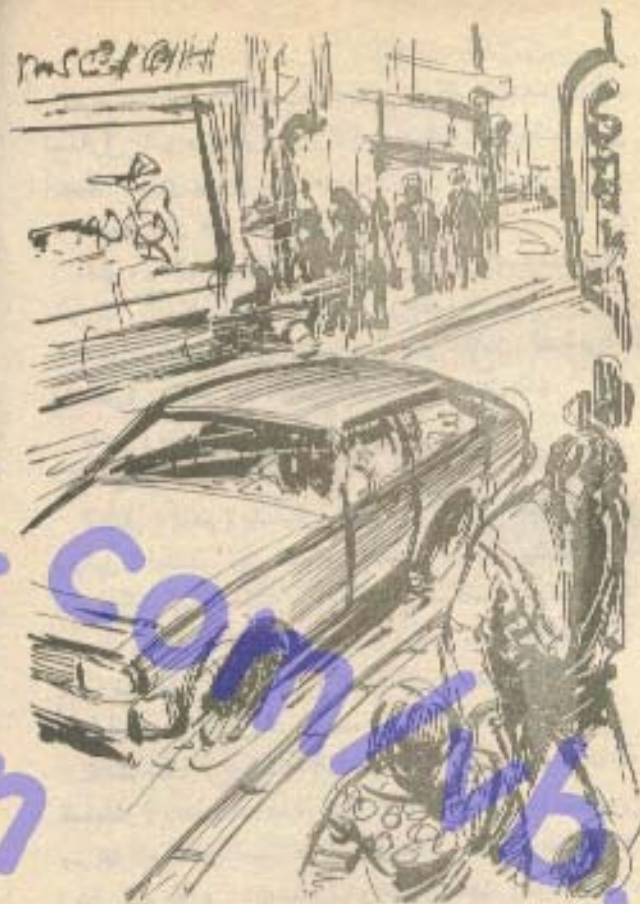
كانت الشوارع هادئة إلى حد ما ، في تلك الساعة

المتأخرة ، مما ساعده على الانطلاق عبرها بأقصى

سرعة . وخلفه السيارات الثلاث ، التي حملت خفيظاً من

رجل الشرطة و (الموساد) ، وعلى رأسهم (بونسيو) ،

و (شيمون دار) ، والأوّل يهتف عبر جهاز اللاسلكي :



انطلق (أدهم) بالسيارة مرة أخرى ، في حين تراجع (بابل)

ليختبئ بين المتاجر الصغيرة ..

- الهدف ينطلق نحو تقاطع شارعى (سيمون)
و (كاريه) ، فى سيارة (بورش) صفراء .. أطلقوا
النار بلا تردد .. انفجرت القنابل فى الأمر .. ثمهم ألا تسمعوا
له بالفرار أبداً .

رأى (أدهم) سيارتين من سيارات الشرطة تقطعان
نهاية الطريق ، ويبرز من إحداهما رجل ضخم الجثة ،
يحمل على كتفه مدفعاً صغيراً ، من تلك المدافع المضادة
للدبابات ، ويصوبه إليه ، ففهم ساخرًا :

- إلى هذا الحد !! يبدو أن (الموساد) يدفع بسخاء ،

ليشترى ناعم جهاز الشرطة كله ، وإلا ما وصل بهم

الأمر إلى إطلاق مدفع مضاد للدبابت ، وسط طريق عام .

استعداد عقده دفعة واحدة ، ذكريات عملياته السابقة ،

يبين عمله فى القوات الخاصة ، قبيل التحاقه بتمشيرات

العلامة (*) ، ووجد نفسه يهتف فى حماس ، وعينه ترصدان

سبابة الرجل :

- الله أكبر -

كانت نفس الصيحة ، التى رننتها آلاف الجنادر دفعة

واحدة ، عندما بدأ العبور العظيم ، فى السادس من أكتوبر ،

عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين ..

(*) راجع قصة (الخطوة الأولى) ... لمقالة رقم (٣١) .

ذلك العبور الذي مهد له مع رفاقه ، من أبطال القوات الخاصة ، وكان أحد أسباب نجاحه ، عندما أحضر خريطة أنابيب التابالم من قلب (إسرائيل) (*) ، وتمكن رفاقه من إفساد فاعليتها ، قبيل العبور بساعات معدودة .. ومع صيحته ، أطلق الرجل قنيفته المضادة للذبابات .. ودوى الانفجار ..

★ ★ ★

انتفض جسد (يانيل) في عنف ، مع دوى الانفجار ، الذي بلغ مسامعه ، وتصبب على وجهه عرق بارد ، وهو يتمتم :

- ترى ماذا حدث ؟ .. هل نسقوه ؟

علا الفضول يقننه ، وهو واقف في مكانه ، فدفع جسده إلى الأمام قليلا ، ليرهف السمع أكثر ، ولكنه لم يكذب ، حتى سمع صوتا صارما يهتف :

- قف مكانك .

تجمد (يانيل) في موضعه ، وخفق قلبه في عنف ، ورجل الشرطة الفنزويلي يصوب إليه مسدسه في تحفز ، مستطرذا :

(*) راجع قصة (خيط الذهب) ... مغامرة رقم (٣٢) .

- استدر في بطنه ، وحذر أن تنثى بأي تصرف مباغت ، فرصاصتي ستكون الأسرع حتما .

استدار إليه (يانيل) في بطنه ، ولم يكذب ضوء مصباح الطريق يغمر وجهه ، حتى اتسعت عينا رجل الشرطة ، وشهق .

.. إن فهو أنت .

نطق كل حرف من حروف عبارته بتوتره الشديد ، وتراجع بضع خطوات ، وهو يصوب إليه مسدسه بتحفز أكبر ، مستطرذا في حدة :

- رباه ؟ .. إنهم يقتلون المنيعة كلها بحثا عنك ، وأنت تختبئ هنا .. لقد تصورت أن ذلك الانفجار موجه إليك .

ثم التزع جهاز اللاسلكي من حزامه ، قائلا :

- هنا رقم (٧٠٦) .. لقد عثرت عليه في شارع (ميلو) ..

أريد إمدادات بأقصى سرعة ، قبل أن ..

كان ينحنى قليلا ، ليتحدث عبر الجهاز ، وشعر (يانيل) أنها فرصة مناسبة ..

وانقض .

كانت انقضاضته مباغتة بالفعل ، إلا أن رجل الشرطة ضغط زناد مسدسه بحركة غريزية ، وهو يتراجع هاتفا :

قلت لك : لا تفعل .

انطلقت الرصاصات ، وشعر بها (يانيل) تحتك بجانبه
الأيمن ، وتحرق سترته وقميصه ، وجزءاً من لحمه ،
قيل أن يدفع مسدس الشرطى بعيداً ، ويلكمه بكل قوته ،
قللاً :

لن تقصد الأمر الآن .

اشتبك معه الشرطى فى شجار عنيف ، أثبت أنه أكثر
قوة مما كان يتوقع (يانيل) ، الذى بذل قصارى جهده
ليبعد فوهة المسدس عن جسده ، ولكن الشرطى ركله
فى معدته بكل قوته ، وهو يهتف :

لن تهزمنى بسهولة .

ثم لكمه فى كتفه المصابة ، مستطرداً :

هناك مكافأة ضخمة لمن يقتلك .

تأوه (يانيل) فى ألم ، وتراجع على الرغم منه ،
فوثب الشرطى إلى الخلف ، هاتفاً :

وهذه المكافأة واحدة فى الحالتين .

وصوب مسدسه إليه ، مستطرداً فى صرامة :

حيّاً أو ميتاً .

وضغط الزناد ..

ودوت الرصاصات ..

★ ★ ★

فى نفس اللحظة ، التى ضغط فيها رجل الشرطة زناد
المضغ المضادة للذبابات ، انصرف (أداهم) بسيارته
جنباً ..

كانت مهارة من نوع نادر ، لا يمكن أن يكتسبها إلا
رجل مثله ، بدأ تدريباته فى سنوات عمره الأولى (*) ،
وصقلها بخبرات لا حدود لها ، طوال سنوات عمره ، التى
التربت من الأربعين ..

وبفضل هذه المهارة ، ابتعدت سيارته عن مسار
القذيفة المضادة للذبابات ، فى اللحظة المناسبة بالضبط .

وانطلقت القذيفة تتجاوزه ، وتواصل طريقها إلى
سيارات الشرطة المطاردة الثلاث ، فتسعت عينا (يوناسير)
فى ارتياح ، وصرخ :

.. اللعنة ! كيف فعلها ؟

وفى اللحظة التالية مباشرة ، ارتطمت القذيفة بسيارة
الشرطة الوسطى ..

ودوى الانفجار ..

كان انفجاراً عنيفاً ، أطاح بالسيارة ، ونسفها نصفاً ،
وأجبر السيارتين الأخريين على الانحراف فى عنف ، فقفزت

(*) راجع قصة (ملائكة جحيم) ... المغامرة رقم (٦١) .

.. فيذهب (أدهم صبرى) هذا إلى الجحيم .. بن قلتذهبوا
جميعاً إلى الجحيم .. إنكم تفسدون مدينتى ، وتضعوننى
لى مواقف شديدة الحرج .
اتعد حاجباً (دار) فى صرامة ، وهم يقولون شىء
ما ، عندما تبعث من جهاز اللاسكى فى سيارة الشرطة
صوت يقول :

- هنا رقم (٧٠٦) .. لقد عثرت عليه فى شارع
(میلو) .. أريد إمدادات بأقصى سرعة ، قبل أن ..
وانقطع الإرسال بقتة ، مع دوى رصاصية ، فهتفا
(دار) فى انفعال :

- ماذا تنتظرون ؟ .. أسرعوا إلى شارع (میلو) .
قالها ، وهو يثب داخل سيارة الشرطة ، فلحق به
رجاله فيها ، وانطلقوا بها مباشرة ، و (بوناسيو) يصرخ
فى غضب واستنكار :

- ماذا تفعلون ؟ .. إنها سيارتنا ، وليس من حقكم أن
تلعنوا بها هذا .
لم يلتفت إليه أحد ، وهم ينطلقون بالسيارة ، فصاح
فى حنق :

- أنا أستحق هذا .. أنا أستحق هذا .
فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان
(أدهم) ينطلق نحو شارع (میلو) بأقصى سرعته ،

إحداهما فوق الإفریز . وارتطمت بجدار مبنى مجاور ،
فى حين مالت الثانية على نحو بشع ، ثم انقلبت على
جانبها ، وراحت تزحف لعدة أمتار ، قبل أن تتوقف عند
الجانب الآخر للطريق ..

ولم ينتظر (أدهم) ليرى كل هذا ..

لقد تفادى القذيفة ، واتحرف بسرعة فى أول شارع
جانبى صادقه ، مستغلاً ذلك الاضطراب العنيف ، الذى
سببه الانفجار ، ودار بمساره كله ، ليعود أنواجه إلى
حيث ترك (يائيل) ..

أما (بوناسيو) ، فقد أصابه هلع عنيف ، وراح يصرخ
كالمجنون :

- أخرجونى من هنا .. أخرجونى من هذه السيارة الملعنة ،
قبل أن تنفجر .

كان رجاله جميعاً مصابين ، من جراء ما حدث ، إلا
أنهم منواله يد العون ، واتشلوه من السيارة المقلوبة ،
فى نفس اللحظة التى خرج فيها (دار) من السيارة
الأخرى ، وهو يسب ساخطاً ، ويقول :

- يا للشيطان !.. كنت أعلم أن دخول (أدهم صبرى)
اللعبة ، سيجعل الأمور كلها تتعقد فى شدة .
صاح (بوناسيو) :

ولم يكذبني ، حتى وقع بصره على رجل الشرطية ، وهو بصوب مسنده إلى (يائيل) ، فاستلّ مسنده بسرعة بيسراده ، وأطلق رصاصة كسح الجرق . فأطاحت بمسند الشرطي ، الذي تراجع مذعوراً ، وانعقدت الكدمات في حلقة ، فاقصّ عليه (يائيل) هاتفاً ، وهو يكيل له نكمة قوية :
- أيها الوغد .

سقط الشرطي أرضاً ، في نفس اللحظة التي أوقف فيها (أدهم) سيارته إلى جوار (يائيل) ، قائلاً :
- أسرع يا رجل .. لابد أن نبتعد بأقصى سرعة .
الحتى (يائيل) يحتلف مسند الشرطي ، وهو يقول في عصبية :
- ليس قبل أن أقتل هذا الشرطي الحقير .. لقد أصابني بجرح شديد .

صاح به (أدهم) في غضب :
- أقسم أن أقتلك لو فعلت .. هل نضبت مشاعرك يا رجل ، فرحت تطلق النار على العزل اللقادي الوعى ؟!
قفز (يائيل) داخل السيارة ، وهو يقول في حدة :
- بل أنت المرهف الحس أيها المصري ، حتى أنه ليذهشني أن تكتسب هذه السمعة الضخمة ، بكل مشاعرك الرقيقة .

اتطلق (أدهم) بالسيارة ، قائلاً في صرامة :
- مشاعري الرقيقة هذه لا تمنعني من كسر عنقك بلا تردد ، لو اقتضى الأمر . ولكن كرامتي لا تسمح لي بقتل العزل ، حتى ولو كانوا في كامل وعيهم .
عط (يائيل) شفتيه ، قائلاً في استنكار :

- كيف يقتر محترف ، بهذا الأسلوب السخيف ؟
هم (أدهم) بقول شيء ما ، لولا أن ظهرت سيارة (دار) فجأة ، في مواجهة سيارته . وهتف (دار) داخلها في انفعال :

- ها هوذا .. أطلقوا النار .. لسفوها بلا رحمة .
التزع (أدهم) مسنده في سرعة ، ولكن الرصاصات انهمرت عليه بالمطر . قبل أن يطلق منه رصاصة واحدة ، وأصابته إحداها للمسند ، فأطاحت به بعيداً ، في حين اخترقت الرصاصات الأخرى جسم السيارة وزججها الأمامي ، وعاد بعضها يستقر في جسده ، لولا أن مال في سرعة . فاخترقت الرصاصات مقعده فحسب ..
وبحركة سريعة ، دار (أدهم) بالسيارة ، هاتفاً :
- فقدنا المسند أيضاً .. بالثروعة !... هذا يجعل المطاردة تكثر إثارة .
دفع (يائيل) نصف جسده خارج نافذة السيارة ، وهو يصيح :

- دعنا نحولها إلى جحيم بالنسبة لهم .

قالتها ، وأطلق رصاصات منسسه في غضب ، فأصاب أحد رجال (الموساد) في مقتل ، وهشم زجاج السيارة الأمامي ، قبل أن تنفذ رصاصاته ، فقال (أدهم) في سخرية :

- هذا عيب أولئك الذين يطلقون العنان لمشاعرهم .. لقد خسرت رصاصاتك كلها دون تدبير ، وأرجو أن تكون لديك خزانة إضافية .

كان ينطلق بأقصى سرعته ، لابتعاد عن رجال (الموساد) ، الذين عاثوا بغروحه برصاصاتهم ، فاتكمش (ياثيل) في مقعده ، وهو يقول :

- كلا للأسف ، لمست أحمل سوى رصاصة واحدة .. من رصاصات بندقيتي .. أحفظ بها لجلب الحظ السعيد .. اتحرف (أدهم) في شارع جاتبي ، وهو يقول سخرًا :

- وهل جنبته لك ، أم .. بئر عبارته بفتنة ، واعتقد حاجباه في شدة ، وهو يتطلع إلى نهاية الطريق ..

لقد أخطأ باختياره هذا الشارع الجانبي بالتحديد .. فنهايته مسدودة بجدار ضخم .. مسدودة تمامًا .

★ ★ ★

٧- المصيدة ..

(كراكس) .. الثألي عشر من يوليو ..

الواحدة والنصف صباحًا ..

ارتفع بوق سيارة الإسعاف ، وهي تشق طريقها عبر شوارع (كراكس) ، قبل أن تتوقف أمام البناية ، التي يقيم فيها سنيور (كاجيني) ، الذي وقف أمام شقته يركى ويولول ، ويهتف :

- وأزوجتي المسكينة .. لقد أصابتها اللوبة ، وتحتاج إلى إسعاف عاجل .

تطلع إليه جيرانه في إشفاق وتعطف ، وابنه (ألبرانو) يربت على كتفيه مهدكًا ، وهو يقول باكياً :

- اطمئن يا أبى .. اطمئن .. لقد وصلت سيارة الإسعاف ،

وسيتم نقلها إلى المستشفى على الفور .

حمل المصعد رجلاً الإسعاف إلى المكان في تلك اللحظات ،

فصاح بهما (كاجيني) :

- أسرعاً .. أسرعاً .. إنها تعاني كثيراً .

اختفى رجلا الإسعاف داخل الشقة بضع دقائق ، ثم
برزوا وهما يحملان محفة ، رقت عليها سنيورا (كاجيني)
بشعرها الأشيب ، ومنظارها الطبلى السميك ، وهي تتأوه
فى ضعف ، واندفع خلفها ابنها (ألبرانو) ، هاتفا :
- ابق أنت هنا يا أبى .. سأصحبها إلى المستشفى ،
وأبقى معها حتى تتجاوز أزمةها .. اطمئن .

هبط المصعد بالتجميع إلى أسفل ، ودفع الرجلان المحفة
داخل سيارة الإسعاف ، ودفن خلفها (ألبرانو) ، والطنقت
سيارة الإسعاف ، فابتسم (ألبرانو) ، وانتزع الشارب
المستعار عن وجهه ، وقال :
- انتهى الأمر .. يمكنك الاسترخاء الآن .

اعتذلت (نينا) ، وانتزعت عن رأسها الشعر الأشيب
للمستعار ، وهي تزفر قائلة :
- رياه !! كنت لموت فرعا .. تصورت أنهم سيكشفون
أمرنا منذ اللحظة الأولى .

أجابها الملحق العسكرى مبتسما :
- كل شيء تمت دراسته بمنتهى الدقة .. اطمئنى .
زفرت مرة أخرى ، قبل أن تسأله :

- هل تنقلنا الإسعاف إلى حيث نستقل الزورق إلى
(ترنداد) ؟

هز رأسه نفيا ، وهو يقول :

- كلا .. الإسعاف سيتجاوز بنا منطقة الحصار فحسب ،
وبعدها سنستقل سيارة أخرى إلى ميناء ميهجور ، حيث
ينتظرنا الزورق البخارى ، الذى سينقلنا إلى جزيرة
(ترنداد) .

صمتت لحظات ، ثم سألته فى توتر :
- وماذا عن (يانيل) ؟

تطعن إليها الملحق العسكرى لحظة ، قبل أن يجيب :
- لا داعى للقلق على (يانيل) يا سيدتى ، فعناية الله
(سبحانه وتعالى) وضعته تحت رعاية واحد من أفضل
وأقوى رجال المخابرات فى العالم .. اطمئنى .
نطقها فى ثقة شديدة ، على الرغم من أن قلبه كان
يلقى التساؤل نفسه فى قلق ..

ترى ما الذى يواجهه (أدهم) و (يانيل) الآن ؟!!
كيف يسير بهما الأمر ؟!!
كيف ؟!!

★ ★ ★

ضغط (أدهم) فرامل سيارته فى قوة ، عندما فجأه
ذلك الجدار الضخم ، الذى يسد نهاية الطريق ، ودار بها
نصف دورة ، لتتوقف بعرض الطريق ، وهو يقول لنفسه :

أخطأت هذه المرة يا (أدهم) .

أما (يائيل) : فتهتف في ارتياح .

- ماذا نفعل ؟!.. الطريق مسدود ، وليس معنا سلاح

واحد ، ندافع به عن أنفسنا .. لقد وقعنا في المصيدة .

أدار (أدهم) السيارة ، لتواجه مدخل الطريق ، وهو

يقول في حزم :

- ليس بعد .. اتبعنى .

قائلاً ، ووثب خارج السيارة ، والتزع غطاء خزان

وقودها ، في نفس اللحظة التى ظهرت فيها سيارة

(دار) ورجاله ، وقد لحقت بها سيارة أخرى ، فأخرج

(أدهم) منديلته ، وسه في خزان الوقود ، ثم انتقط

ثقاباً ، وحك قمته بسطح السيارة ، فاشتعل بسرعة .

وأشعل به المنديل ، هاتفاً :

- ابتعد بأقصى سرعة .

اتطلق (يائيل) يعدو مبتعداً ، نحو بعض المتاجر

المقفلة ، في نهاية الشارع المسدود ، في حين يقفز (أدهم)

داخل السيارة ، وضغط دواسة وقودها ، وهو يدفع عصا

السرعة إلى وضع الحركة ، قائلاً :

- هذه هديتى لك يا (دار) .

ووثب خارج السيارة ، مستطرداً في سخرية :

- تعبيراً عن عواطفى المنتهبة .

رأى (شيمون دار) السيارة تندفع نحوه ، والسيارة

مشتعلة في خزان وقودها ، و (أدهم) يقفز منها ، فصرخ

في رجاله :

- إنه فح .. ابتعدوا أيها الأغبياء .

أدار سائق السيارة عجلة القيادة في عطف ، وانحرف

بحركة حادة ، محاولاً تفادى (البورش) ، ولكن اتحرقته

لم تكن بالبراعة الكافية ، فلم تتجاوز مسار (البورش)

تماماً ، واهتف (دار) في حق :

- أيها الغبي .

ووثب خارج السيارة ، وألقى جسده أرضاً ، في نفس

اللحظة التى ارتكطت فيها (البورش) بالسيارة الأخرى ،

والفجرت بدوى عنيف أبقت المنطقة كلها ..

وبينما يحدث هذا ، أسرع (أدهم) إلى (يائيل) ، لذى

هتف متوتراً :

- وماذا بعد ؟!.. ما زلنا داخل المصيدة !

أزاحه (أدهم) في حزم ، وأخرج من جيبه سلكاً دقيقاً ،

واح يعالج به رجاج المتجر ، الذى يستند إليه (يائيل) ،

في نفس الوقت الذى هب فيه (دار) واقفاً ، وصاح :

- اللعنة !.. اقتلوها .. اقتلوها الآن .

توقفت السيارة الأخرى ، وتجاهل ركبها زملاءهم ،
الذي يحترقون داخل السيارة الأولى ، ورفعوا فوهات
أسلحتهم نحو (أدهم) و (يائيل) ..

وانطلقت الرصاصات في الطريق المسدود ..

انطلقت في نفس اللحظة ، التي عالج فيها (أدهم)
الرتاج ، وفتح الباب ، ودفع (يائيل) داخل المكان ، ثم
وثب خلفه ، والرصاصات تضرب الباب في عنف ، قبل أن
يغلقه (أدهم) من الداخل ، فهتف (يائيل) :

- رباد .. إنها ورشة نجارة

أغلق (أدهم) الباب من الداخل في إحكام ، بوساطة
رتاج معدني قوي ، ووقع أقدام (دار) ورجاله يقترب
من المكان ، وصوته يصرخ في ثورة :

- افتحموا المكان ، وأطلقوا النار عليهما ، حتى يصيرا
أشبه بمصفاتين من كثرة الثقوب .

انهالت الرصاصات على الباب كالمطر ، فهتف (يائيل)
متوتراً :

- أؤمن الممكن أن يصمد هذا الباب طويلاً ؟

تلقت (أدهم) حوله ، مغمفاً :

- ليس أكثر من دقائق خمس ، على أقصى تقدير .

ثم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع صوت (دار) من
الخارج ، يصرخ :

- لا فائدة .. لقد وقعتما في المصيدة هذه المرة .. أعلم
أنه لم يعد لديكما سلاح .

وقهقه ضاحكاً في عصبية ، قبل أن يضيق :

- ولا أمل .

عض (يائيل) شفتيه في غيظ ، في حين عقد (أدهم)
حاجبيه ، مغمفاً :

- يا للوغد !

ثم التفت إلى (يائيل) ، مستطرداً :

- أعطني رصاصتك .

تطلع إليه (يائيل) في دهشة ، مغمفاً :

- رصاصتي ؟

أجاب (أدهم) في صرامة :

- نعم .. الرصاصة التي تجلب لك الحظ .

بس (يائيل) يده في جيبيه ، وتناوله الرصاصة ، وهو

يسأله في توتر :

- وماذا يمكنك أن تفعل برصاصة بدون مسدس ؟

التقط (أدهم) الرصاصة ، وهو يقول :

- سكرى .

كانت الرصاصات تواصل انهمارها على الباب ، عندما

جذب (أدهم) منصدة كبيرة ، مثبت بها منجلة كبيرة ،

.. أيها الأوغاد .

وطوح المنشار في وجوههم ، فالحنى (دار) متفاديا
إياد ، في حين أصابت الضربة عنق أحد رجليه ، فصرخ
ألمًا ، وهو يسقط أرضًا ، والدماء تنزف من عنقه في
قوة ..

وبسرعة مذهشة ، تحنى (أدهم) يلتقط أحد المسدسات ،
واعتدل يطلق رصاصته نحو العسديس ، الذي يمك به
الرجل الثاني ، فأطاح به على الفور ، في نفس اللحظة
التي ارتفع فيها دوى أبواق سيارات الشرطة ، التي تقترب
بسرعة ، فصرخ (دار) :

.. لن نفلت ، حتى ولو أطلقنا النار علينا جميعًا ،
أو ...

هوى (أدهم) على فكه بلكمة كاتقابلة ، وهو يقاطعه
قتلًا :

.. أنت لا تسأوى ثمن رصاصه .

يسقط (دار) فاقد الوعي ، في حين تراجع الرجل
المتبقي ، ثم انطلق يعدو مبتعدًا ، فالحنى (يانيل) يلتقط
مسدسًا بدوره ، ويصوبه إليه ، قاتلًا :

.. لن تبعد كثيرًا أيها الوغد .

كانت سيابته تعصر الزناد ، لولا أن دفع (أدهم)
يده إلى أسفل ، وهو يقول في صرامة :

وضع الرصاصه بين ضلعتيها ، وثبتها بأقصى قوة ،
تاركًا جزءًا من غلافها الخلفي حرًا ، ثم وضع المنجلة
في مواجهة الباب تمامًا ، والتقط مطرقة ومسارًا ، ووضع
الطرف الحاد للمسار في منتصف دائرة الإشعال ، في
قاعدة الرصاصه ، وهو يقول لـ (يانيل) :

.. التقط منشارًا يدويًا .. سنقاتل حتى آخر قطرة دم .
لم يكذب عبارة ، حتى اتهاز رتاج الباب ، واقتحم
المكان ثلاثة من رجال (دار) ..

وضرب (أدهم) المسار بالمطرقة ..
واشتعل البارود اللادخاني في ظروف الرصاصه ..
وانطلقت ..

وكانت مفاجأة مذهلة للرجال ، الذين اقتحموا المكان
وكلهم ثقة ، في أن (أدهم) و (يانيل) لا يملكان سلاحًا ،
فإذا برصاصه تتطلق نحوهم ، وتخترق صدر أحدهم ،
الذي أطلق شهقة ألم ومهشة ، وتراجع في عنف ، في
نفس اللحظة التي ألقى فيها (أدهم) المطرقة بكل قوته ،
لتصيب رأس الرجل الثاني ، وتلقيه أرضًا ، ونفع المنضدة
كلها لترتطم بالثالث ، وتدفعه أمامها في قوة ..

ووثب (يانيل) نحو (دار) ، والرجلين الآخرين بقيا
من فريقه ، وهو يصرخ :

- لا داعي لهذا .

التفت إليه (يائيل) في دهشة ، وهتف مستكبرا :

- هل ستتركه يفلت ؟

أجابته (أدهم) بنفس الصرامة :

- نعم ..

وأشار إلى نافذة صغيرة في أعلى الورشة ، مستطردا :

- ثم إنه لا وقت لدينا لهذا .. سنفر عبر هذه النافذة ،

قبل أن تصل قوات الشرطة .. هيا .

نمن (يائيل) مسدسه في حزامه ، وهو يقول محققا :

- لن يمكنني فهمك أبدا .

تجاهله (أدهم) تماما ، وهو يحمل مسلما خشبيا ،

ويسنده إلى جدار الورشة ..

وبينما كانا يتجاوزان النافذة الصغيرة ، إلى شارع

خلفي ضيق ، كانت سيارات الشرطة تعبر مدخل الشارع

المسدود ، وتتوقف أمام ورشة التجارة ، وهيبت كبير

المفتشين (يوناسيو) من إحداها ، وهو يدير عينيه

فيما حوله في ذهول ، هاتفا :

- رياه .. ماذا حدث ؟! .. أهي مذبحة ؟

أسرع أحد رجال الشرطة يفحص (دار) ورجاله ،

قبل أن يجيب :



- تلاميذ سيدي .. كلهم مصابون ، ولكن أحدهم لم يبق مصرعه .

ارتفع حاجبا (بوناسيو) في دهشة ، قبل أن يغمغم :
- عجباً ؟؟

وصمت لحظة ، ثم أدار عينيه في المكان مرة أخرى ،
قللاً :

- استعدوا سيارات الإسعاف إذن ، فهذه اللينة تبدو
وكأنها لن تنتهي أبداً .

ثم توقفت عيناه عند النافذة المفتوحة ، وأشار إليها ،
مستطرداً في عصبية :

- لادفوا من هنا .. الرجلان اللذان نسعى خلفهما قرأ
من تلك النافذة .. أسرعوا خلفهما ، ولا تسمحوا لهما
بالهرب أبداً ..

وصرخ في ثورة :

- هل تفهمون ؟؟ .. أبداً .

وتواصلت المطارة .. من جديد ..

★ ★ ★

راح التوتر يتصاعد في أعماق (نينا) بشدة ، وهي
داخل تلك السيارة ، التي يقودها المنحق العسكري إلى
تلك الميناء المهجور ، حيث ينتظرهما الزوج البخاري ،

وقد وضعت على رأسها شعراً أشقر مستعاراً ، واحتفظت
بثوب ومنظار سنيورا (كاجيتي) ، واشتعل القلق في
أعماقها أكثر وأكثر ، وهي تفكر في (يانيل) ، الذي
يقاتل بنوره لنقرار من (فنزويلا) ، قبل أن يطبق عليه
الإسراييليون ، ووجدت نفسها تقول فجأة دون تفكير :
- الصحافة !

التفت إليها المنحق العسكري متسائلاً ، فاستطردت
في مزيج من التوتر والحماس :

- لماذا لم تحاولوا نقل الأمر إلى الصحافة ؟؟ .. يمكنكم
عقد مؤتمر صحفي ، وشرح الأمر كله ، ولن يستطيع
أحد أن يتحدى الصحافة ، عندما تشرحون لها الحقائق
كلها .

أجابها في هدوء :

- أتقصدين مثلاً فعل السيناتور (ستاسي) ؟

انعقد حاجبها في توتر ، وهي تقول :

- لن يمكنهم اغتيال (يانيل) ، وسط حشد من الصحفيين ،

ابتسم في شيء من السخرية ، وهو يجيب :

- لو أنك سألت (يانيل) نفسه ، لأخبرك أنهم يستطيعون
اغتياله ونسف حشد الصحفيين كله ، دون أن يظرف لهم
جفن .

قالت في حدة :

- ليس إلى هذا الحد .. من الواضح أنك لا تقدر الصحافة حق قدرها .

أجاب صارمًا :

- بل أنت التي تجهلين قواعد عالم المخابرات تمامًا ، ولا يمكنك استيعاب (الموساد) ووسائله .. إنهم لن يلتزموا بأية قواعد أو أعراف أو مبادئ ، في مسيل إسكت (يتيل) ، ومنعه من كشف أسرارهم .

عقدت ساعديها أمام صدرها في عناد ، وهي تقول :
- ما زلت أصبر على أن الصحافة يمكنها أن تفعل شيئًا .

رآها تشيح بوجهها ، وكأنها تعلن عدم استعدادها لخوض المزيد من النقاش حول هذا الأمر ، فسط شفتيه ، وهز رأسه مغفمًا :

- يا للعناد !

ولاذ بالصمت بدوره ، حتى بلغت السيارة تلك الميناء المهجور ، فقال لها الملحق العسكري في حزم :

- انتظري هنا يا سيدتي ، ولا تغاري السيارة حتى أعود إليك .

أومات برأسها إيجابًا ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فحمل مسدسه ، وتحرك نحو رصيف الميناء في حذر ، وراقب الزورق لحظات ، قبل أن يطلق من بين شفتيه صوتًا خاصًا ، أشبه بصوت اليومة (*) ، فاعتدل قائد الزورق البخاري ، وأطلق صوتًا مماثلًا ، جعل الملحق العسكري يغادر مكنه ، ويقول بالعربية :
- صباح الخير يا رجل .. آجند لديك مشروبًا يناسب نزلات البرد ؟

أجابه الرجل بنفس اللغة في هدوء :

- بالطبع .. لو أن التيسون يصنع لهذا -

ابتسم الملحق العسكري في ارتياح ، بعد أن تبادل كلمات السر مع قائد الزورق ، الذي سأله في اهتمام :

- هل أحضرت المسافرة ؟

أجابه الملحق العسكري :

- نعم .. إنها في السيارة .. سأحضرها على الفور .

غمغم قائد الزورق :

(*) اليوم : طيور ثلية جارحة ، منتشرة في معظم أرجاء العالم ، تنبيه لصقور ، ولكن مناقيرها معقوفة ، ومخالبها طويلة حادة ، وعيونها مكيفة للإبصار في الظلام ، تفترس الفواض والحشرات ، وهي رمز للحكمة عند الأوروبيين ، ولذير شوم بغتسية للمصريين .

- هذا أفضل .. إنهم ينتظرونها على آخر من الجمر
في (ترنداد) .

ابسم المنحق العسكى ، مغمغا :
- اطمئن .

ثم عاد أدراجه إلى السيارة ، وفتح بابها ، قائلا :
- هيا ياسينتى .. الطريق آمن ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، قبل أن
يهتف :

- رياه !.. أين ذهبت ؟

التلق بيحث عنها فى الجوار ، فى توتر شديد ، ولكن
النتيجة كانت واضحة ..

لقد اختلفت (نينا شيريدان) ..
اختلفت تماما .

★ ★ ★



٨- أنياب الخطر ..

(كراكس) .. اثنتى عشر من يوليو ..

الثالثة صباحا ..

انعدت محبب الدخن فوق رأس المفتش (بارديو) ،
وهو يجلس فى شرفة منزله ، يدخن سيجارة تلو
الأخرى فى شراهة ، وذهنه شارد تماما ، حتى تسنن
إلى أذنيه صوت زوجته ، وهى تساله فى رفق وقلق :

- أما زلت مستيقظا ؟

انتفت إليها ، وهو يطق سيجارته ، مغمغا :

- لم أستطع النوم .

جذبت مقعدا ، وجلست إلى جواره ، قائلة فى حنان :

- ما الذى يقلقك ؟

تنهد فى توتر ملحوظ ، وهو يشعل سيجارة أخرى ،

قائلا :

- كل ما يحدث يثير فى نفسى القلق .. شىء ما لا يسير

على ما يرام اللينة .. بل منذ اغتالوا السيناتور (ستاسى) ..

الأسلوب الفج ، الذى يتعامل به (بوناسيو) ، وأولئك

الغرياء ، الذين يسمح لهم بالتحرك وسط قواتنا ، كما لو أنهم يفوقوننا سنطة ، وطريقتهم فى مطاردة ، أفراد مجهولين .. ألا يكفي هذا ليغافيني النوم ؟!

قالت فى قلق :

- ولكنك لا تمك ما تفعله ، إزاء ما يحدث .

اتعقد حاجباه فى شدة ، وهو يردد :

- لا أمك ما أفعله !!! ربما .

ثم هباً واقفا بحركة مباغته ، مستطردا فى حزم :

- وربما لا .

وأطلقا سيارته فى عنف ، وملاحه كلها تنطبق بالعزم والصرامة ، فسألته زوجته ، وقلبها يرتجف قلقا وتوترا :

- ماذا تنوى أن تفعل ؟

التقى حاجباه مرة أخرى ، وهو يجيب :

- ما ينبغي أن يفعله أى رجل شرطة شريف .

والتقط مسدسه ، ودسه فى حزامه ، وهو يغادر

المنزل ، فهتفت به :

- إلى أين ؟! إنها الثالثة صباحا .

ولكنه غادر المنزل ، دون أن يجيب بكلمة واحدة ..

لقد قرر أن يقتحم ما يحدث أيا كان ..

ويلا هوادة ..

★ ★ ★

ققر (أدهم) يعتلى سور فيلا صغيرة ، على مسافة مائتى متر من ورشة التجارة ، ثم مذيده يلتقط (يائيل) ، ويساعده على الصعود ، فتأوه هذا الأخير فى ألم ، وهو يعتلى السور بدوره ، مما جعل (أدهم) يسأله :

- هل تشعر بالتعب ؟

أجابه (يائيل) لاهثا :

- جرح فخذي ينزف بشدة .

الحنى (أدهم) يمزق جزءا من سرواله ، واتخذ حاجباه فى شدة ، وهو يتطلع إلى ضمادات الفخذ ، التى أغرقتها الدماء ، وقال :

- لن يمكنك الاستمرار على هذا النحو .. لو فقدت المزيد من الدماء ستفقد وعيك ، ولن يعود بإمكانك الاستمرار .

قال (يائيل) فى ألم :

- ولكنهم يواصلون مطاردتنا .

أدار (أدهم) عينيه فيما حوله ، وقال :

- أيا كان ما يفعلونه ، لن يمكنك الاستمرار .. أنت تحتاج إلى الراحة حتما .

حاول (يائيل) أن يبتسم فى إرهاق ، وهو يغتم :

- وكيف يمكن الحصول عليها ، فى ظروف كهذه ؟

حمته (أدهم) على كتفه بحركة مباغثة، وهو يقول :
- دعنا نحاول .

وقبل أن يعترض (باتيل) ، كان (أدهم) يثب به داخل حديقة الفيلا ، ويعبرها عدواً ، حتى بلغ بابها ، فهتف (باتيل) في عصبية ، وبصوت خافت خائف :

- عظيم .. والآن ماذا تتوى أن تفعل ؟!.. هل تطرق الباب ، وتطلب من أصحاب الفيلا السماح لنا بالدخول ؟! أجابه (أدهم) ، وهو ينزله إلى جوار الباب :
- لا يوجد أحد هنا .

تطلع إليه (باتيل) في دهشة ، وهو يقول :
- لا تقل لي إنها أيضا واحد من منازلكم الآمنة !
هز (أدهم) رأسه نفياً ، وانحنى يعالج رتاج الباب في مهارة وحكمة ، قائلاً :

- كلا .. إنها ليست كذلك ، ولكنها إما أن تكون خالية ، أو يكون سكاتها من الأموات ، فمع انفجار (البورش) ، والرصاصات التي شقت سكون الليل ، على مسافة مفتى متر ، كان ينبغي أن يستيقظ أحدهم على الأكل ، وتضاء نافذة واحدة كحد أدنى ، أو ..

قاطعته زجرة مباغثة من خلفه ، امتزجت بشهقة (باتيل) ، وهو يهتف :

- رياه ..! إنهم لم يتركوا الفيلا بلا حراسة .

استدار (أدهم) إلى مصدر الصوت في سرعة ، وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يتطلع إلى كذب ضخمة ، من طراز كذب الرعاية الألمانية ، المعروف بالمسترة السوداء(*) لطلق زجرة ثانية ، برزت خلالها أنيابه الحادة القوية ، و .. وانقض ..

انقض على (أدهم صبرى) ..

★ ★ ★

انقض جسد (شيمون دار) في علف ، وهو يستعيد وعيه بفتة ، واعتدل فوق محفة رجال الإسعاف ، هاتفاً :
- أين هو ؟

ارتفعت حواجب الجميع في دهشة ، وقتل أحد رجال الإسعاف ، محاولاً إعادته إلى المحفة :

- سيدي .. المفروض أن ..

قاطعه (دار) في حدة وصرامة ، وهو يهبط عن المحفة :

- لا شأن لك بي .. ابتعد .. ابتعد أو أزين جبهتك برصاصة في منتصفها .

(*) يعرف في (مصر) بـلم ثوولف (Black jacket)

قالها ، وهو يبحث عن مسدسه فى جيب سترته ، ثم
استطرد فى غضب ، عندما لم يعثر عليه :

- أين مسدسى ؟

أسرع إليه (يوناسيو) ، وهو يقول فى حدة وعصبية :

- اصمت يا رجل .. اصمت بالله عليك .. ستفسد حياتى

كلها بما تفعله .

تجاهل (دار) قوله ، وهو يقول محتدًا :

- ذك الشيطان فر منا بأعجوبة .. دعنا نلحق به ،

قبل أن يبتعد كثيرًا .

لوح (يوناسيو) بيده ، قائلاً :

- رجالى يطاردون .. اطمئن .. ولكن اخفض صوتك

بالله عليك .. الجميع يتساءلون عن الصفقة التى تتمتع

بها ، والتى تبيح لك التصرف على هذا النحو .

قال (دار) فى غضب :

- لا تلق بالآلهم .. إنا نستطيع شراء الجميع بأى

شئ . المهم أن نظفر بذلك الشيطان المصرى وبرجننا

المنشق .

ولوح بيده ، مستطردًا ، فى عصبية :

- والآن أعطنى مسدسًا .. أى مسدس .. أشعر وكأننى

عار تمامًا بدون مسدس .

ناوله (يوناسيو) مسدسًا ، وهو يقول :

- خذ .. إنه يخص أحد رجالك .. والآن اتركنا نواصل

مطاردتنا للرجلين .

أمسك (دار) المسدس فى قوة ، وقال :

- بل قل إنا سنسعى معًا خلفهما يا رجل .. لن أترك

فرصة قتلهما تفلت من يدي قط .

قالها ، وكى خلعًا من خلفاته تصرخ بالغضب ..

وبانشر ..

★ ★ ★

انقضّ كلب الرعاة الألماتى على (أدهم) ، بكل قوته

وشراسته ، وهو يطلق زمجرة مخيفة ، وأنيابه تضرب

الهواء ، والزبد يسيل من شذقيه . فى مشهد رهيب

مخيف ، كفيل بتحطيم أعصاب أقوى وأشجع الرجال ..

ولكن ليس (أدهم صبرى) ..

لقد تحرك بسرعة مذهلة ، تفوقت على سرعة انقضاض

الكلب ، فمال جانبًا ، متفاديا ، انقضاضه ، ودار حول

نفسه ، ثم أحاط عنق الكلب بذراعه الفولاذية ..

وكانت مفاجأة مذهلة لكلب الحراسة القوي ، عندما

تعلق جسده فى الهواء ، وذراع (أدهم) الفولاذية تعصر

عنقه ..

وفى لحظة واحدة ، تحولت زمجرة الكلب الوحشية إلى نباح مذعور ، قبل أن يضرب الهواء بمخالبه ، فى محاولة لمقاومة خصمه ، الذى حطّم كل ما اخترّنه فى ذاكرته عن قدرات البشر وردود أفعالهم ..
ونكن محاولاته لم تذهب كلها هباء ..

لقد نجحت مخالبه فى تمزيق جزء من سترة (أدهم) وقمصينه ، قبل أن يضمّ هذا الأخير قبضته ، ويهوى بها على مؤخرة عنق الكلب بنكمة قوية ، أطلق لها كلب الحراسة القوى عواء محدوداً ، قبل أن يتراخى جسده تماماً ..

وفى رفق ، وضع (أدهم) الكلب أرضاً ، وهو يغتم :
- أنت أجبرتني على هذا .
ثم استدار لتلتقى عيناه بعيني (يائيل) ، الذى وحق فيه دهشة وانبهار ، وهو يقول :
- كيف فعلت هذا ؟

تقطع إليه (أدهم) فى صمت ، دون أن يجيب سؤاله ، ثم عاد يعالج رتاج باب الفيل فى اهتمام ، و (يائيل) يتابع مبهوراً :

- إننى لم أشاهد فى حياتى كلها شخصاً يتحرك بهذه السرعة !.. لقد عالجت الموقف على نحو لم أعهده قط ..
لقد ..

قاطعته (أدهم) فى صرامة :

- كفى .

كان يحتاج إلى منتهى الهدوء والتركيز ، ليعالج تلك الرتاج الخاص ، ولقد تعامل معه بمهارة مذهلة ، ثم لم يلبث أن توقف بفتة ، فسأله (يائيل) فى قلق :

- ماذا حدث ؟

أشار (أدهم) إلى الرتاج ، قائلاً :

- إنه متصل بجهاز إنذار خاص ، ينبغ الشرطة عند محاولة اقتحام المنزل .

سأله (يائيل) ، وقد تضاعف قلقه :

- وماذا تفعل معه ؟

ارتسمت على شفتي (أدهم) ابتسامة باهتة ، وهو يجيب :

- نتجاوزة .

لم يكن لجوابه معنى خاص ، مما جعل (يائيل) يتطلع إليه فى حيرة متسائلة ، لم تلبث أن تضاعفت عشر مرات على الأقل ، عندما وثب (أدهم) متعلقاً بحاجز الباب ، ثم اتثنى جسده فى مرونة ، وقفز ليمسك إفريز النافذة ، ومنه إلى حاجز الشرفة العلوية ..

كان يتحرك كلاعب سيرك محترق ، حتى أن عيني (يائيل) اتسعتا فى انبهار ، وهو يحدّق فيما يحدث ،

حتى بلغ (أدهم) الشرفة . وراح يعتلج رتلجها بسرعة ،
قبل أن يفتحها ، ويختفي داخل المنزل ، ويطلقها خلفه ..
ومضت لحظات من الصمت والسكون ، قبل أن يفتح
(أدهم) الباب ، قائلا :

- هيا .. لقد أوقفت جهاز الإنذار .

نهض (يانيل) في ألم ، ودفع جسده داخل الفيلا
دفعاً ، ثم ألقاه فوق أول أريكة صادفته ، وهو يقول :

- يبدو أنك كنت على حق .. لم يكن باستطاعتي
الاستمرار .. بهذه الجروح .

كان يتحدث في ضعف واضح ، فالتحنى (أدهم) يفحص
جرح فخذه ، وهو يقول :

- إنك تحتاج إلى تغيير الضمادات وتطهير الجرح .

ثم تطلع إلى عينيه المسببتين ، مستطرداً :

- وإلى قليل من النوم .

استرخى (يانيل) ، وهو يغغم :

- كم أتمنى هذا .. هل تعلم ؟! المسدس الذي حصلت

عليه كان خالياً من الرصاصات .. ياله من حظ .

تركه (أدهم) يسترخى فوق الأريكة ، وراح يحل
الضمادات في سرعة ، ثم التقط واحدة من زجاجات
الخمير من البار ، وهو يقول ساخراً :

- يبدو أننا وجدنا فتنة واحدة للخمر على الأقل .

قالها ، وهو يصب بعض محتويات الزجاجاة على الجرح ،
فتأوه (يانيل) في ألم ، وعتف بصوت خافت :

- رويك يا رجل .. إنها تؤلم بشدة .

أجابته (أدهم) في حزم :

- ولكن نسبة الكحول فيها تساعد على تطهير الجرح (*) .

حاول (يانيل) أن يبتسم في إرهاب ، وهو يقول :

- وتمتع العقل .

مط (أدهم) شفتيه ، وهو يلتقط منشفة نظيفة ،

ويضمّد بها الجرح ، قائلا :

- بل قد تذهب بالعقل ، فعندما يمتزج الكحول بالدم ،

يفقد الإنسان قدرته على التركيز ، وعلى التحكم في أفعاله

المتعكسة ، وتضعف ردود أفعاله ، كما تهيج أعصابه ،

ويصير عنيفاً بلا حكمة أو عقل (**).

(*) الكحول : مركب عضوي يتكوّن جزئياً من الكربون

والهيدروجين والأكسجين ، ويشتمل على مجموعة أو أكثر من

مجموعات الهيدروكسيل ككحول (الميثيل) ، وكحول (الإيثيل) ،

وكمحولات لثنائية وثلثية ، وتختلف كمحولات في خواصها

تغيريكية والكيميائية ، كما تختلف بين سائل وجوهر ، وذلك في

درجات الحرارة العادية .

(**) حقيقة .

تطلع إليه (يائيل) لحظة ، ثم سألته :

- أنت لا تشرب الخمر قط .. أليس كذلك ؟

هز (أدهم) رأسه نقيًا ، وهو يجيب :

- لست أحمق لأفعل .. هل تعلم أن بالعى الخمر أنفسهم

لا يشربونها قط ؟

ضحك (يائيل) ، وهو يقول :

- نعم .. أعلم هذا .

كان يرغب بشدة في الاسترخاء ، فأسبل جفنيه ،

وحاول أن يفتح عقله بالنوم . و ...

وفجأة : ارتفع صوت سيارات الشرطة ، وهي تتوقف

أمام الفيلا ..

وكان هذا يعنى أن الخطر قد عاد ..

وبشدة ..

★ ★ ★

استل (دار) مسدسه ، وهو يغادر سيارته ، أمام

الفيلا مباشرة . ولوح به في صرامة ، قائلاً :

- فيلا خاصة .. آه .. مكان مثالي للاختباء .

أشار إليه (بوناسيو) ، وهو يقول في عصبية :

- رويدك يا رجل .. هذه الفيلا بالذات فوق التشبهات .

انعتقد حاجبا (دار) ، وهو يقول محتدًا :

- لا يوجد مكان فوق التشبهات .. أنت لا تعرف الرجل

الذى نطارد .. إنه شيطان .. هل تفهم ؟ .. شيطان .

صاح (بوناسيو) :

- حتى ولو كان ملك الشياطين نفسه .. لا يمكننا اقتحام

هذه الفيلا أبدًا .

سألته (دار) في غضب :

- ولماذا ؟ !

أجابته (بوناسيو) غاضبًا ، وهو يشير إلى الفيلا :

- لأنها ملك السنيور (راقويل) .. إمبراطور الصناعة

والاقتصاد في (فنزويلا) .. أول فيلا بناها في حياته ،

وهو يعتز بها للغاية .

قال (دار) في حدة :

- هذا واضح .. يعتز بها إلى الحد الذى يتركها فيه

بلا حراسة .

قال (بوناسيو) في عصبية :

- الفيلا لا تحوى ما يغرى اللصوص ، ثم إنه هناك

كتب حراسة قوى في حديقته ، يقوم منسق الزهور

برعايته طوال النهار ، ويتركه لحراسة الفيلا في الليل ،

والجميع هنا يعرفون قصة ذلك اللص ، الذى حاول دخول

الفيلا ، فمزقه ذلك الكلب إربًا .. وهناك أيضًا جهاز إنذار

متطور ، و ...

قَاطِعُهُ (دار) فى صرامة :

— وأين هذا الكلب !!

تَطْلُعُ (بوناسيو) عبر قضبان البوابة . ووقع بصره على الكلب الضخم ، وهو يستعيد وعيه ، ويهز رأسه فى بطء ، فقال :

— ها هوذا .. هل يمكنك أن تخاطر بالتسلل إلى القفلا ، فى وجود كلب ضخم كهذا ؟

اتعقد حاجبا (دار) فى شدة . وهو يتطلع إلى الكلب ، الذى استعاد وعيه ليجد عشرات الرجال والأضواء أمام البوابة ، مما أثار عصبيته وتوتره ، فاندفع نحوها ، وهو ينبغ فى وحشية وشراسة . وابتسم (بوناسيو) فى عصبية ، قائلا :

— أرايت !!

رمى (دار) الكلب بنظرة سريعة متوترة ، ثم أدار عينيه إلى القفلا المظلمة لحظات ، قبل أن يقول :

— فليكن .. هيا بنا نواصل المطاردة .

عاد الجميع إلى سياراتهم ، وأثمار (بوناسيو) إلى رجاله ، قائلا :

— أنتم إلى الطريق الرئيسى . أما أنت وأنت ، فاتجها إلى الميناء . وانقوا القبض على كل من تشبهون فيه

هناك ، واطلبوا من حراس الحدود والسواحل تشديد قبضتهم أكثر ، ومضاعفة الدوريات والتفتيش والمراقبة . انطلقت السيارات كلها ، وبقيت سيارة واحدة تضم (دار) و (بوناسيو) ، وثلاثة من رجال الشرطة . وأشعل الأول سيجارته ، وهو يقول :

— ماذا يحدث يا (بوناسيو) ؟ .. ألا يستطيع رجالك كلهم إلقاء القبض على رجلين ، أحدهما مصاب بعدة رصاصات ؟ أجابه (بوناسيو) فى توتر شديد :

— إننا نبذل قصارى جهدنا ، وأنت لا تتركى ما الذى أشغله من أهلكم .. لقد أشعلت حريا فى المدينة كلها ، لمعاونتكم على إنهاء عمليتكم السخيفة .

نفث (دار) دخان سيجارته ، قائلا :

— أعتقد أننا ندفع ثمنا مناسبا لهذا . احتقن وجه (بوناسيو) ، وهو يقول :

— وبم يقيد هذا الثمن ، لو ثارت ثائرة الحاكم ، وطلب تقريراً رسمياً عما يحدث هنا ؟

أجابه (دار) فى صرامة :

— لا تقلق بشأن الحاكم .. أترك أمره لنا . تراجع (بوناسيو) كالمصعوق ، وهتف :

— ماذا ؟! .. هل تعنى أن ...

قاطعہ (دار) فی صرامة :

- لست أعشى شيئاً .. هيا نواصل مطاردة الرجلين ،
فربما ..

كان ينوح ببعد في الهواء ، عندما تجمعت في موضعها
بغته ، وهو يبتتر عبارته ، ويحدق في نقطة ما عند
السور ، قبل أن يندفع نحوها ، ويحمسها ، بأصابعه ،
مغمضاً في توتر :

- ترى هل ..

لم يتم عبارته ، فسأله (يونسو) في توتر :

- ما هذا بالضبط ؟

التفت إليه (دار) في الفعل ، قائلاً :

- دم .. دم طازج على السور يا رجل .

ثم استنّ مسنمه بسرعة ، وأشار إلى اللقيا ، مستطرداً :

- إيهما هنا .. كنت أعلم أنهما هنا .

وصاح في رجال الشرطة الثلاثة :

- هيا يا رجال .. سنقتحم المكان .

هتف (يونسو) :

- سنبور (دار) .. أنا أحذرك ..

ولكنه لم يتم عبارته ..

لقد ابتنعها مع رصاصة أطلقها (دار) نحو قفل بوابة
القبلا ..

ومع تحطم القفل ، زمجر الكلب ، وتراجع مستعداً
للاتقاض ، ولكن (دار) أطلق رصاصة أخرى على
رأسه ، قائلاً :

- ابتعد أيها الكلب الحقيق .

سقط الكلب الضخم صريعاً ، أمام عيني (يونسو)
المذعورتين ، و (دار) يضيف في صرامة والفعل :

- هيا يا (يونسو) .. مر رجائك بالهجوم ..

ومن خلف ستار التافذة ، رأى (أدوم) و (يالين) سيارة
الشرطة تفتح حنيقة القبلا ، ويهبط منها ثلاثة رجال
مسنحون ، يتقدمهم (دار) و (يونسو) ، والجميع يتجهون
نحو القبلا ، لبدء جولة جديدة ..
جولة قاتلة .

★ ★ ★

٩- الاتجاه المباشر..

تاوّه (لون جولهي) في ألم، وهو يستعيد وعيه،
وشعر بارتجاج واضح، وهو يفتح عينيه، ويحدّق في
وجه الشخص الذي يجلس إلى جواره، والذي قال في
برود صارم:

- أخيراً، استعدت وعيك.

حدّق (جولهي) فيما حوله في دهشة، وهو يعتدل
جالساً، فلم يكن داخل مستشفى، أو حتى سيارة إسعاف،
ولمّا كان يرقّد داخل سيارة مراقبة خاصة(*)، وأمامه
رجل المخابرات الأمريكي (رونالد جير)، يتطّلع إليه في
صرامة. وحوله عدد من الرجال، أمام أجهزة السيارة،
فهزّ رأسه، وقال في توتر:

(*) سيارة المراقبة الخاصة: سيارة مجهزة بأجهزة، رصد
وتتصت، وشبكة هاتف دولية، وأجهزة كمبيوتر، ومتصلة بالإنترنت
الصناعية مباشرة، بحيث تصبح أشبه بوحدة مراقبة متحركة، وهي
تنتشر لأمريكي، يستخدمها عادة رجال المباحث الفيدرالية، أو رجال
المخابرات الأمريكيين، في بعض عمليات المراقبة المحدودة.



ومع تحطّم القتل، ونحو الكذب، وتراجع مسعداً للاقتصاص،

ولكن (دار) أطلق وصفاً أخرى على رأسه..

— ماذا حدث يا مستر (جير) ؟ .. ما الذى أتى بى إلى هنا ؟

أجابته (جير) فى صرامة :
— غباؤك .

انتفض (جوليهى) فى توتر ، وقال :

— مستر (جير) .. لن أسمح لك بـ ...
قاطعته الأمريكى فى صرامة :
— اصمت .

ثم تراجع فى مقعده ، ولوح بيده فى حدة ، مستطردا :

— ماذا أصابكم هذه المرة ؟؟ .. لقد أدبتم العمل المطلوب منكم فى نجاح ، واغتنتم (ستاسى) .. لماذا تثيرون كل هذه الضجة إذن ؟

تحسّس (جوليهى) موضع إصابته ، وهو يجيب :

— للرجل الذى قام بالعملية خاتنا ، واتصل بالمصريين ، وطلب حق اللجوء السياسى فى (مصر) .

اتعقد حاجبا (جير) فى شدة ، وهو يقول :

— اللجوء السياسى ؟

ثم مال نحو (جوليهى) ، مستطردا :

— ألهذا تطاردونه بهذه القراسة ؟؟

أوما (جوليهى) برأسه إيجابا ، وهو يقول :

— لو أنكم فى موضعنا لفعلتم انمثل .

تراجع (جير) فى مقعده ، وقال :

— بل لو أننا فى موضعكم ، لما استغرق منا الأمر أكثر من ساعات معدودة .

أجابته (جوليهى) فى حدة :

— هذا ما يصوره لكم غروركم ، ولئلك لا تعلم أن المصريين أرسلوا أقوى وأخطر رجالهم لإحضار (ياتيل) .
ثم مال نحوه ، وأضاف فى لهجة ذات مغزى خاص :
— (أدهم صبرى) .

اتعقد حاجبا (جير) فى شدة ، عندما سمع الاسم ،
وندت منه حركة عصبية واضحة ، قبل أن يقول من خلف أسنانه فى فسوة :

— (أدهم صبرى) ؟ .. آه .. إذن فالمصريون يضعون إحضار (ياتيل) على قمة أعمالهم .

وصمت لحظات ، وملامحه كلها تنطق بالغضب والثورة ،
قبل أن يعتدل ، قائلا فى حزم :

— فليكن .. تناول قدحا من القهوة المركزة يا (جوليهى) ،
ورتب أفكارك جيدا ، فستقص على كل ما تعرفه عن هذا الأمر ، وبأدق التفاصيل .

سأله (جوليهى) فى حذر :

هل تتوى المخول في اللعبة ؟

أوماً (جبر) برأسه إيجايا ، وضافت عيناه في شدة ، وهو يجيب :

- نعم يا (جولهي) .. سندخل الثعبة على مسئوليتي الخاصة ، ولكن ..

وأشار إلى ما يحيط به من أجهزة ، مستطرداً :
- على الطريقة الأمريكية .

قالها ، وعيناه تتألقان في شدة ..
وفي قسوة ..

★ ★ ★

« إنهم يتجهون إلى هنا مباشرة .. »

نطق (ياتيل) العبارة في توتر شديد ، وهو يراقب الرجال ، الذين يقتربون من المنزل في حذر ، فأشار إليه (أدهم) بالصمت ، وهو يراقب المشهد بدوره ، ويستمع إلى (دار) ، الذي قال لرجال الشرطة :

- فليتجه اثنان منكم إلى المخرج الخلفي .. اطلقا النار بلا تردد على كل من يتحرك ، أو يحاول الخروج منه .

أسرع اثنان من رجال الشرطة إلى المخرج الخلفي ، في حين اتجه (دار) و (بوناسيو) والشرطي الثالث إلى الباب الرئيسي ، و (بوناسيو) يقول :

- لو أننا لم نعثر عليهما هنا ، فستكون قد وضعتني

في مأزق شديد الدرج يا سنيور (دار) .

أجابته (شيمون دار) في حزم :

- إنهما هنا .. ليس لدى أدنى شك في هذا .

تلقت (بوناسيو) حوله في توتر ، وهو يقول :

- في هذه الحالة ، أعتقد أنه من الأفضل أن نطلب الإمدادات ، قبل أن نقتحم المكان .

قال (دار) في صرامة :

- من الخطأ أن نضيع لحظة واحدة .

قال (بوناسيو) في عصبية :

- ومن الخطأ أكثر أن نواجه رجلاً تصفه بالثشيطان ،

دون أن نؤازرنا قوة ضخمة .

صاح به (دار) :

- اصمت ، وتمالك أعصابك يا رجل .

احتقن وجه (بوناسيو) في غضب ، ولكنه احتفظ

بلسانه خلف أسنانه ، واستل مسدسه بدوره ، وهو يتהל

إلى الله أن تمضي هذه الليلة بسلام ..

أما في الداخل ، فقد بلغ توتر (ياتيل) مبلغه ، وهو

يتلفت حوله ، قائلاً :

- ماذا نفعل ؟! .. هن نطلق عليهم النار ؟! ..

أشار إليه (أدهم) ، قائلا في صرامة :
- اصمت .

ثم تحرك في سرعة ، وانتزع سلكي جهاز الإنذار .
ثم أوصلهما برتاج الباب في مهارة ، و (يائيل) يتابعه
ببصره ، ويسأله متوترا :

- ما المفروض أن يفعله هذا ؟

تجاهله (أدهم) تماما ، وهو يلتقط مقعدا صغيرا ،
ويتأهب متحفزا ..

وفي نفس اللحظة ، دفع (دار) رتاج الباب ، وهو
يقول :

- استعدا .. سنقتحم المكان . و ...

قائلا ، وهو يدير الرتاج ، ثم انتفض جسده في عصف ،
عندما تسببت إدارته في توصيل سلكي جهاز الإنذار ، الذين
نقلا التيار إلى الرتاج نفسه ، فصعقه ، وألقاه بعيدا ، في
نفس اللحظة التي انطلق فيها الإنذار نفسه ..

وبكل قوته ، ألقى (أدهم) المقعد نحو النافذة ،
فاخترقها بدوى عفيف ، ألقت نحوه (بوناسيو) وللشرطي ،
مع فوهتي مسدسيهما ، وأطلقا النار ..

وفي اللحظة التالية مباشرة ، كان (أدهم) يقتحم النافذة
الثانية ، على الجانب الآخر للباب ، ويعبرها إلى الحديقة ،
ثم يهوى عنى فك (بوناسيو) بكلمة كالقنبلة ، قائلا :

- إنها حركة تمويه .

وأعقب نكته بثانية كالصاعقة ، ألقت كبير المفتشين
أرضا فاقد الوعي ، وهو يستطرد :

- نجحت في خداعك كغف ساذج .

استدار إليه الشرطي في توتر شديد ، ليطلق عليه
النار ، في نفس اللحظة التي هرع فيها الشرطيان الآخران
من خلف الفيلا ، لموازرة زمينهما ، فوثب (أدهم) جالبا ،
متفاديا الرصاصات . ثم قبض على معصم الشرطي ، وهو
يقول :

- خسرت فرصتك يا رجل .

ثم دار على عقبيه ، حتى أصبح ظهره يواجه للشرطي ،
وهوى على معدته بمرفقه ، فشبق الشرطي في ألم ، في
حين قبضت يد (أدهم) على يده الممسكة بالمسدس ،
وأمالها في سرعة ومهارة ، وضغط زناد مسدس الشرطي ،
لتتطلق منه رصاصتان ، أطاحت كل منهما بمسدس أحد
الشرطين ، قبل أن يدور (أدهم) حول نفسه ، ويلكم
الشرطي في فكه ، ويسقطه فاقد الوعي ..

تراجع الشرطيان في ارتياح ، عندما فقدوا مسدسيهما ،
ثم انتبها فجأة إلى أن (أدهم) لا يصوب إليهما سلاحا ،
فالتقضا عليه في شراسة ، وأحدهما يهتف بزميله :

- هاجمه من اليمين ، وسائقض عليه بن اليسار ،
و...

- أخرسه (أدهم) بنكمة قوية ، هشمت أنفه ، واثنين
في أسنانه ، ثم وثب في الهواء ، ودار حول نفسه في
مهارة ، ليترك الاثنين في فكه ، ويطيح به فاقد الوعي ،
قبل أن يهتف في (يائيل) :

- أسرع يا رجل .. سنستوني على سيارتهم .
بذل (يائيل) قصارى جهده ، ليعود إلى جواره . حتى
سيارة الشرطة ، وهو يقول في توتر :

- لماذا لم تطلق عليهم النار مبائسة ، بدلا من هذا
الأسلوب المعقد ؟

- أجابه (أدهم) ، وهو ينطلق بالسيارة :
- لم أجد داعيا لقتلهم .

- هتف (يائيل) في دهشة مستكرا :
- لم تجد داعيا لماذا ؟! متى يكون هناك داع في
رأيك ؟

- أجابه (أدهم) في صرامة :
- عندما لا تكون هناك وسيلة أخرى .

- حدث في (يائيل) لحظة ، قبل أن يهز رأسه ، مغمغا :
- كنت أعلم أنه من العسير أن أقهك .

قال (أدهم) في حزم :

- هذا أمر طبيعى ، فمُشخص مثلك ، اعتاد إراقة الدماء
طوال عمره ، دون أن يطرّف له جفن ، لن يمكنه امتيعاب
موقف كهذا أبدا .

- عقد (يائيل) حاجبيه ، وهو يقول :

- يدهشنى أن يقول محترف مثلك هذا .

- ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

- المفروض ألا يدهشك أى شيء فى عالمنا .

- تلهد (يائيل) ، قائلا :

- هذا صحيح ، وبالذات بعدما حدث من رفاقى السابقين .

- ران عليهما الصمت لحظات ، بعد هذه العبارة ، وتناهى
إلى مسامعهما دوى أبواق سيارات الشرطة ، التى تندفع
إلى الفيلا ، فاحترف (أدهم) يمينا ، وتجاوز شارع
فرعيا ، قبل أن يواصل انطلاقه فى شارع مواز للشارع
الرئيسى ، فى نفس اللحظة التى اعتدل فيها (يائيل) ،
وسأله بغتة :

- ما خطة فرارنا بالضبط ؟

- صمت (أدهم) لحظة ، قبل أن يقول فى صرامة :

- لماذا تريد أن تعرف ؟

- أجابه فى عصبية :

- أليس هذا من حقى ؟! لقد أخبرت (نينا) تفاصيل
خط سيرها ، على الرغم من أنها ليست إحدى العاملات
فى جهاز المخابرات ، فكيف تكتم عنى خط سيرنا ؟!
صمت (أدهم) لحظة أخرى ، ثم أجاب :
- لدى أسبيلى .

التقى حاجبا (يانيل) فى غضب ، وأشاح بوجهه بضع
لحظات ، وهو يتابع الطريق ، ثم قال بغتة :
- يؤسفنى أنك لست نكيا كما تعتقد .
قال (أدهم) فى هدوء :
- حقاً ؟!

استدار إليه (يانيل) ، وهو يقول فى حدة :
- نعم .. حتى أنا يمكننى استنتاج وجهتنا ببساطة ،
فمنذ غادرتنا السفارة ، وأنت تتطلق دائما باتجاه الغرب ..
أراهنك أن وسيلة هروبنا تنتظرنا عند خليج (فنزويلا) ..
أليس كذلك ؟

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى (أدهم) ، وهو
يقول :

- يا للبراعة !

قال (يانيل) فى حدة :

- المشكلة أننى ما دمت قد توصلت إلى هذا ، فهم
سيوصلون إليه حتماً ، وسيصبح هذا الاتجاه المباشر
بالغ الخطورة .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع صوت (يوناسيو) ،
عبر جهاز اللاسلكى فى السيارة ، وهو يقول فى عصبية :
- إلى جميع السيارات .. إلى جميع السيارات .. المطاردان
نجا فى الاستيلاء على واحدة من سياراتنا .. السيارة
رقم (١٠٠٦) .. حذبوا اتجاهها ، وتعاملوا معها على
الفور .. الرجلان مسلحان وبانغا الخطورة ... أطلقوا
عليهما النار على الفور ، أو تنسفوا السيارة نفسها ،
لو اقتضى الأمر .

عقد (يانيل) حاجبيه فى شدة ، فى حين قال (أدهم)
ساخراً :

- عظيم .. لقد أهدر كبير المفتشين دمنا ، وسيطاردنا
الآن كل رجل شرطة فى (كراكس) .
ضعفم (يانيل) متوتراً :
- وكل رجال (الموساد) .

هز (أدهم) كتفيه دون تعليق ، وهو ينطلق بالسيارة ،
وكأنه لا يلقى بالالامر ، فاستطرد (يانيل) فى عصبية :
- ألا يعنى كل هذا ؟

قال (أدهم) في ضوء :

.. وما الذي ينبغي أن أفعله ؟ .. هل أرتجف هنا ؟

أجاب (يائيل) في حدة :

.. أهد شيئاً من الاهتمام فحسب .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

.. سأبذل قصارى جهدى .

التقى حاجباً (يائيل) في شدة ، حتى كادا يمتزجان ،

وهو يقول محدثاً :

.. كم يدعشنى أنك تنكسر عينا دائما ، وأنت ..

اعتقد حاجباً (أدهم) بشدة ، وهو يقول فى صرامة

مباغثة :

.. أصبت .

اتكبه (يائيل) فى هذه اللحظة فقط ، إلى سيارتى

الشرطة اللتين اعترضتا الطريق عند نهايته ، ووقف

أمامهما شرطى ضخمة ، يحمل على كتفه ذلك المدفع المضاد

للدبابات ، ويصوبه إلى سيارتهما ، فهتف :

.. سيطلق القذيفة نحونا .. احترس .. ابتعد بسرعة ..

بسرعة .

هوى (أدهم) على فكه بكلمة مباغثة ، قائلا فى

صرامة :

.. ابتعد أنت .

فقد (يائيل) وعيه على الفور ، من شدة الكلمة ، فى حين

أضاء (أدهم) المصباحين القويين للسيارة ، وهو يقول :

.. هيا أيها الشرطى .. أطلق قذيفتك .

بهر الضوء القوى عيون رجال الشرطة فى السيارتين ،

إلا أن حامل المدفع المضاد للدبابات أغلق عينيه قليلا ،

وصوب مدفعه إلى المسافة بين المصباحين ..

وأطلقه ..

وفى هذه المرة أصابت القذيفة هدفها ..

وانفجرت السيارة ..

وكان أعنف انفجار شهدته (كراس) فى تلك الليلة ..

أغفلها على الإطلاق .



١. - خدعة محترف ..

(كراكس) .. الثاني عشر من يوليو ..

الرابعة صباحاً ..

التعد حاجباً حاكم (كراكس) ، وهو يعقد حزام معطفه المنزلى ، وينتف إلى حجرة مكتبه ، فتهض المفتش (باردو) واقفاً ، والحاكم يقول فى غضب :

- أتعرف كم الساعة الآن أيها المفتش ؟! .. أمل أن يكون ما لديك من الأهمية ، بحيث يستحق إيقافى فى الرابعة صباحاً .

أجاب (باردو) فى ضيق :

- إنه ليدهشنى فى الواقع أن تستغرق فى النوم يا سيدي الحاكم ، فى الوقت الذى لم يغمض فيه جفن ثلاثة أرباع سكان (كراكس) ، مع تلك الحرب الشعواء ، المشتعلة فى شوارعها .

لوح الحاكم بيده ، وهو يقول فى حدة :

- هذا الأمر يخص كبير المفتشين ورئيس الشرطة .

قال (باردو) فى توتر :

- وماذا عنك يا سيادة الحاكم ؟! .. ألم تطلب توضيحاً للموقف ؟! .. ألم تلق سؤالاً واحداً ، عن هؤلاء الأجانب ، الذين يشتركون مع رجال الشرطة فى مطاردة عنيفة ، هى السبب فى كل ما يحدث ؟!

سأله الحاكم فى حنر مقوتر :

- الأجانب ؟! .. أى أجانب ؟

كان (باردو) ينوى الدوران حول الحقيقة التى يعلمها جيداً ، لذا فقد أدهشه هو نفسه أن أجاب فى وضوح ، وباندفاع سبق لسأله فيه عقله :

- الإسرائيليون .

وكان من الواضح أن الحاكم لم يكن يتوقع قط مثل هذا الجواب المباشر ، فقد شحب وجهه ، وارتجفت أطرافه ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، قيل أن يتمم مرتبكا :

- الاسرائيليون ؟! .. وما شأنهم بنا ؟

عقد (باردو) ساعديه أمام صدره ، وهو يسأل :

- حسن .. ما الذى تنسوى أن تفعله الآن يا سيدي

الحاكم ؟

حنج الحاكم بنظرة صامتة طويلة ، ثم تنحنج قائلاً :

- كل ما ينبغى أيها المفتش .. كل ما ينبغى .

ثم تنحنج مرة أخرى ، ووضع يده على كتف المفتش .

وهو يقوده إلى الباب ، مستطرداً :

- إننى أشكر لك أمانتك وإخلاصك أيها المفتش ، والواقع
أننا بحاجة إلى أمثالك ؛ لتشعر بالأمن والأمان فى وطننا ..
أشكرك كثيرا .

تطلع إليه (باردو) لحظت بنظرة خاوية ، قبل أن يسأل :
- أهنأك ما يمكننى فعله ؟

لوح الحاكم بيده ، وحاول أن يبتسم ، وهو يقول :
- كلا يارجل .. إنك مرهق ، وتحتاج إلى نوم عسيق ..
عد إلى منزلك ، وستنوى نحن الأمر ، اعتبارا من هذه
اللحظة .

ثم ربت على كتفه ، مستطرذا بحماس مصطنع :

- وثق بأتنى سأوصى بتركيتك .

رمقه (باردو) بنظرة صامتة ، ثم قال :

- فليكن يا سيادة الحاكم .. لقد أديت واجبى .

ربت الحاكم على كتفه مرة أخرى ، قائلا :

- بالطبع .. بالطبع يارجل .

ولم يك (باردو) ينصرف ، حتى انعقد حاجبا الحاكم ،
وضرب سطح مكتبه بقبضته ، هاتفا فى حلق :

- الأغبياء .. لقد تمادوا فى تدخلهم ، حتى أقصدو كل
شئ .

ثم التقط هاتفه ، وطلب رقم رئيس الشرطة ، ولم يك
يسمع صوته ، على الجانب الآخر ، حتى قال فى عصبية :

- إنه أنا .. اتحاكم أيها السخيف .. نعم .. أعرف كم
الساعة الآن ، ولكن الأمر لا يمكن تأجيله .. هيا .. انهض
من فراشك ، واربد ثيابك ، وانطلق على الفور إلى حيث
هؤلاء الأجانب الحمقى ، وأخبرهم أن اتفاقنا معهم لاغ ،
وأنهم تمادوا كثيرا ، ولن نتعاون معهم بعد الآن .. نعم ..
لو أرادوا أن يواصلوا ، فليواصلوا وحدهم ، دون مسند
قانونى .. هذا كل ما يمكننا أن نفعله .

قالها ، وأنهى المحادثة فى عنف ، فى نفس اللحظة
التي أدار فيها المفتش (باردو) محرك سيارته ، وهو
يقول لنفسه :

- أعتقد أننى لم أكن مبالغاً ، عندما دست جهاز التنصت
الصغير فى هاتف الحاكم .. ربه ! .. القضية أضخم مما
كنت أتصور .. أضخم بكثير .

ثم انطلق بسيارته ، مستطرذا :
- وهذا يعنى أن هذه الليلة لن تنتهى بسهولة .

قالها وهو يعتقد فى أعماقه أن الأمر قد لا يقتصر
على ألا تنتهى هذه الليلة الطويلة فى سهولة ، بل قد
يمتد إلى أنها لن تنتهى ..
لن تنتهى أبدا ..

★ ★ ★

توقفت سيارة المراقبة الأمريكية ، على مسافة عشرة أمتار من سيارة الشرطة ، التي كان يستقلها (أدوم) و (يانيل) ، والتي تحطمت تماما ، وتحولت إلى كتلة من الفحم ، وهبط (جير) بصحبة (جولهي) من سيارة المراقبة ، واتجه إلى حيث يقف (دار) و (بوناسيو) ، فاستقبلهما الأخير في عصبية ، قائلا :

- مرحى .. إن فالأمريكيون أيضا قرروا خوض اللعبة .. يا لسعائتي !.. هذا يعني أن كل ما مررنا به لم يكن سوى عبث بسيط ، بالنسبة لما ينبغي أن نتوقعه ..

تجاهله (جير) بأسلوب مستفز ، وهو يسأل (دار) :

- ماذا حدث ؟

أشار (دار) إلى السيارة المحترقة ، قائلا :

- ما تراه أمامك .

ألقى (جير) نظرة سريعة على حطام السيارة ، ثم قال في برود :

- كيف ؟

رأى له (دار) كل ما سمعه من الشرطي ، الذي أطلق القذيفة المضادة للدبابات على السيارة ، ثم ضاقت عيناه ، وهو يقول في لهجة أقرب إلى السخرية :

- إن فقد استخدم (أدوم) الضوء الساطع ، قبل الانفجار مباشرة .

قال (دار) في حذر :

- أيعنى هذا شيئا محدودا ؟

أجابته (جير) في لا مبالاة :

- نعم .. يعنى الكثير .

ثم أدار عينيه فيما حوله ، قبل أن يضيف :

- وسيعاوننا الكمبيوتر على تحديد الموقف كله .

قالها ، واستدار عازلا لسيارة المراقبة ، فأسك (دار)

نزاع (جولهي) ، وسأله في توتر عصبى :

- من أين أتيت به ؟

أجابته (جولهي) متنهذا :

- هو الذى أتى بى .

ثم أضاف ، وهو يزيح أصابع (دار) .

- المهم أن نستفيد بما لديه من إمكانيات .

واتجه نحو سيارة المراقبة ، فتنحى (دار) ، ثم لحق

به بدور ..

وفي السيارة ، كان (جير) يجلس أمام جهاز الكمبيوتر ،

ويضيف إليه المعلومات الأخيرة ، فسأله (دار) :

- أنت تعتقد أنه لم يلق مصرعه .. أليس كذلك ؟؟

أجابته (جير) ، دون أن يلتفت إليه :

- بل أنا واثق من هذا .. لقد استخدم الضوء الساطع

ليبهر الشرطي ، ويمنعه من رؤيته ، وهو يقفز من السيارة

مع (يائيل) ، ولقد أطلق ذلك الغبي قنيفة نحو السيارة ،
ونسفاها ، دون أن يدري أنها هربا منها ، واختفيا بين
التبائنات .

هتف (دار) :

- كنت أعلم هذا .. كنت أعلم هذا .

التفت إليه (جبر) ، يسأله في سخرية :

- وماذا فعلت ، عندما علمت هذا ؟

قال (دار) في حدة :

- سأفتش المنطقة كلها شيئا شيئا ، و ...

قاطعه صوت (بوناسيو) ، وهو يقول في عصبية :

- لمست أعتقد هذا ممكنا الآن يا سادة .. لقد جاء رئيس

الشرطة إلى هنا الآن ، وألقى أمرا واحدا صارما ، ثم

انصرف دون أن يمنحنا فرصة لمناقشته .

وتضاعفت عصبته ، وهو يضيف :

- لقد أمر بعدم التعاون معكم بعد هذه اللحظة بصورة

واضحة ، فقد استفزتماديكم الجميع ، وأصبح الأمر بالغ

الخطورة .

صاح (دار) في وجهه غاضبا :

- ولكنكم تقاضيتكم جميعا ثمن هذا .

احتقن وجه (بوناسيو) بشدة ، وهو يقول :

- ربما كان هذا هو السبب .

ثم تراجع في حدة ، وصاح في رجائه :

- هيا يا رجال .. سنتصرف جميعا من هنا .. ارفعوا

حطام السيارة .. لقد انتهت العملية ، ولقى الهاربان

مصرعهما رسميا .. هيا .

قال (دار) في غضب :

- الأوغاد !!! .. لقد تخلوا عنا .

مط (جبر) شفتيه ، وهو يقول :

- غياوك هو الذي دفعهم إلى هذا .

التفت إليه (دار) ، قاتلا في حدة :

- مستر (جبر) .. صحيح أن جهاز مخابراتنا يتعاون

مع جهاز مخابراتكم ، ولكن هذا لا يمنحنا الحق في ...

قاطعه (جبر) في برود ، وكأنه لم يسمع عبارته :

- لقد تصورت أن ما تدفعه لهم حكومتك من رشاوى ،

تمنحك حق التحكم فيهم ، والتمادي معهم إلى حد يجرهم

ويضعهم أمام شعبهم ، في موقف شديد الحساسية ..

المفروض أن تترك أن هذا هو أسوأ ما يمكنك أن تفعله ..

أن تبرز التعاون في وضوح ، ومشكلتك أنك لم تمتلك

خبرة كافية في مثل هذه الأمور .. أنت مجرد قاتل محترف

سابق ، في فرقة الاغتيالات في (الموساد) ، اعتدت أن

تتعامل مباشرة ، دون محاورات أو مناورات .

قال (دار) فى سخرية عصبية :

- امنحنا خبرتك أنت أيها العبقري .

ابسم (جير) فى سخرية ، ولوح بكفه ، قائلا :

- هذا ما أتوى فعله يا عزيزى .

ثم اتحنى على جهاز الكمبيوتر ، مستطردا :

- لقد غيّت هذا الجهاز بكل ما حدث الليلة .. كل المواقع

والأحداث والتفاصيل ، ثم أضفت إليه برنامجا من مكتبتنا

الخاصة . وضغناه لدراسة وتحليل شخصية وأسلوب

وعمليات رجل المخابرات المصرى (أدهم صبرى) ،

وللتنبؤ بخطواته القادمة ، فى كل عملية جديدة ، ونسبة

خطأ لا تتجاوز الواحد فى الألف .

غمغم (جولهى) فى ارتياح :

- هذه هى التكنولوجيا الأمريكية التى نعرفها .

عقد (دار) حاجبيه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى

حين ابسم (جير) ، وهو يضغط أزرار الكمبيوتر ، قائلا :

- ولقد أشار الكمبيوتر إلى أن تحركات (أدهم صبرى) ،

فى هذه الليلة ، توحى بأنه فى طريقه إلى خليج (فنزويلا) .

مط (دار) شففيه ، قائلا :

- لم يكن الأمر فى حاجة إلى كمبيوتر خاص لاستنتاج

هذا .

التفت إليه (جير) مبسما ، وهو يسأله :

- هل استنتجت هذا بالفعل ؟

هر (دار) كتفيه - مجيبا :

- بالطبع .. كل الدلائل كانت تشير إلى هذا .. و ...

قاطعه (جير) بصرامة مباغتة :

- والكمبيوتر يقول : إن هذا الاستنتاج ساذج للغاية .

اتعقد حاجبا (دار) فى توتر ، و (جير) يتابع :

- ويؤكد أيضا أنها خدعة مدروسة من (أدهم صبرى) :

ليقود تفكيركم جميعا إلى الشرق ، فى حين يخطط هو فعليا

للاطلاق إلى الغرب .

ثم أشار إلى خريطة ، ارسمت على شاشة الكمبيوتر ،

مستطردا فى حزم :

- إلى (كوماتا) .

اتعقدت حواجب الجميع ، وهم يتطعنون إلى تلك البقعة

على الشاشة ، وسؤال واحد يملأ عقولهم ..

هل أصاب الكمبيوتر فى استنتاجه هذه المرة ؟!

عن ...!

★ ★ ★

اتفض (ياليل) فى فراشه ، وفتح عينيه بفتة ، وراح

يحدث فى المكان الذى يرق فيه بدهشة بالغة ..



لقد وقع بصره على (أدهم صبرى) ، الذى تجلس فى صالة المنزل ،

وقد انهك فى صنع شيء ما ..

كان آخر ما يذكره هو وجوده داخل سيارة ، يتطلق بها (أدهم) نحو الشئتين من سيارات الشرطة ، تعترضان الطريق ، وشرطى يصوب منقعا مضادا للديابات .. ثم تنتهى ذاكرته بغثة ، عند هذه النقطة ..

كان يشعر بإرهاق شديد ، وبرغبة لامحدودة فى النوم ، حتى أنه لم يدر كيف استعاد وعيه على هذا النحو .. ولا كيف وجد نفسه فى هذا المكان ..

لقد استيقظ ليجد نفسه راقدا فوق فراش وثير ، داخل حجرة أنيقة ، وقد تم تضويد جراحه بشاش نظيف معقم ، ووضع عليه بعضهم ثوب نوم نظيفا ..

وفى دهشة ، ألقي نظرة على ساعة يده ، التى أشارت عقاربها إلى الرابعة والربع صباحا ، ثم غادر فراشه ، وفتح باب الحجرة ، و ...

واتسعت عيناه فى دهشة ..

لقد وقع بصره على (أدهم صبرى) ، الذى يجلس فى صالة المنزل ، وقد انهك فى صنع شيء ما ، بدا له أشبه بتمثال نصفى لشخص ما ..

وقبل أن يتحجج أو يصدر عنه أدنى صوت ، التفت إليه (أدهم) ، وكثما التبه إلى وجوده بغريزته فحسب ، وقال :

- هل استيقظت بهذه السرعة ؟! .. كان المفروض أن
تحظى بقدر أكبر من النوم .

اتجه إليه (يائيل) ، وهو يسأله :

- أين نحن بالضبط ؟

أجابته (أدهم) فى بساطة ، وهو يعاود عمله :

- فى منزل آمن آخر .

جلس (يائيل) يراقبه ، وهو يسأل :

- ماذا حدث بالضبط ؟

أجابته (أدهم) :

- لقد قفزنا من السيارة ، قبل أن تنسفها القنبلة بلحظات ،

وحملتك على كتفى إلى هنا .

ارتفع حاجبا (يائيل) فى دهشة ، وهو يقول :

- بهذه السهولة ؟!

أجابته (أدهم) ، وهو منهمك فى عمله :

- نعم .. بهذه السهولة .

راقبه (يائيل) بضع لحظات أخرى ، قبل أن يهتف

فى دهشة :

- رباه .. هذا التمثال لى .

قال (أدهم) فى هدوء :

- نعم .. إبنى أصنع قناعا يناسب وجهك .

سأله فى دهشة :

- وهل صنعت هذا التمثال بنفسك ؟

هز (أدهم) رأسه نفيا ، قبل أن يجيب :

- كلا .. لقد حصلت على طبعة لوجهك ، فى أثناء

استغرافك فى النوم .

بدت الدهشة على وجهه (يائيل) لحظات ، قبل أن

يقول :

- ونماذا تصنع قناعا يناسبنى ؟

اعتدل (أدهم) ، وتطلع إليه لحظة فى صمت ، ثم أجاب :

- سيساعدك هذا على الخروج من هنا .

قال (يائيل) متوترا :

- عن طريق خليج (فنزويلا) ؟!

بدت له ملامح (أدهم) جامدة ، خالية من أى تعبير ،

وهو يقول :

- ربما !

تعتقد حاجبا (يائيل) طويلا ، قبل أن يقول فى توتر :

- اسمع ياسيد (أدهم) .. أعرف أن طبيعة عمل

المخابرات تمنعك من شرح تفاصيل الخطة لى ، إلا أن

هذا لا يمنعنى من التفكير فى الأمر ، والتوصل إلى بعض

النتائج ، باستنتاجاتى الشخصية .

استرخى (أدهم) فى مقعده ، وهو يقول :
- وما النتائج التى أوصتلك إليها استنتاجاتك ؟

أجابه (يائيل) فى انفعال :

- الدلائل المباشرة تشير إلى أنك تنوى الفرار عن طريق خليج (فنزويلا) ، إلا أن طبيعتك ، التى درسناها فى (الموساد) ، تؤكد أن هذا مجرد خدعة ، وأنتك توحى بهذا فحسب ، فى حين تنوى اتخاذ سبيل مخالف تماماً .

ساله (أدهم) فى اهتمام :

- مثل ماذا ؟

مال (يائيل) نحوه . قاتلاً :

- (كوماتا) مثلاً .

هز (أدهم) رأسه ، وهو يقول فى هدوء :

- اقتراح مناسب .

تظن (يائيل) إلى ملامحه الجامدة طويلاً ، محاولاً أن يستشف منها الجواب ، فلما عجز عن هذا ، قال فى حدة :

- أهذا طريقنا بالفعل ؟

التفت (أدهم) إلى عمله ثانية ، وهو يجيب فى

هدوء :

- ربما !

احتقن وجه (يائيل) فى غضب ، وهم يقول شىء ما ، عندما ارتفعت نقلت منتظمة على باب الشقة ، فهب (يائيل) من مقعده ، هاتفاً :

- من يأتى فى مثل هذا الوقت ؟

التقى حاجباً (أدهم) ، وهو يستل مسدسه ، قائلاً :

- لست أدرى ، ولكن الإشارة صحيحة .

واتجه إلى الباب ، وهو يسأل بصوت يخالف تماماً صوته الحقيقى :

- من بالباب ؟

أتاه صوت مألوف ، يقول :

- أنا بائع الصحف .. هل قرأت جريدة (الأهرام) مؤخراً ؟

أجاب (أدهم) ، وهو يفتح الباب :

- بالطبع .. إنها جريدتى المفضلة .

وانعقد حاجباه فى شدة ، عندما دلف المئحق العسكرى

بسرعة إلى الشقة ، وسأله فى توتر :

- كيف وصلت إلى هنا ؟ .. المفروض أن تكون الآن

فى (ترنداد) .. مع (نينا) ؟

أجابه المئحق العسكرى فى سرعة :

- (نينا) هربت .

اتسعت عينا (يائيل) ، وهو يهتف فى ارتياح :

- هربت ١٢.. (نينا) هربت ١٢

أجاب الملحق العسكري متوترًا :

- نعم .. لقد وصلنا بسلام إلى الميناء المهجور ، وكان المفروض أن نستقل الزورق معًا إلى (ترنداد) ، ولكنني عدت إلى السيارة ، فوجدتها قد اختفت ، وأنا أبحث عنها ، مع عدد من رجالنا ، منذ ذلك الحين وحتى الآن ، وعندما فشلنا في العثور عليها ، أتيت إلى هنا ، طبقًا للأوامر .
انقضَّ عليه (يائيل) في ثورة ، هاتفا :

- إذن فقد فقدتم (نينا) .. فقدتم المرأة الوحيدة التي أحببتها ، في حياتي كلها .. سوف أقتلك .. سوف أقتلكم جميعًا .

أمسكه (أدهم) في قوة ، وهو يقول :

- مهلاً يا رجل .. لا تلقد أعصابك ، فتخسر كل شيء .

قال (يائيل) في عصبية :

- ولكنهم فقدوا (نينا) .. حبيبتي (نينا) .

صاح فيه (أدهم) في صرامة :

- تمالك أعصابك .

التفت إليه (يائيل) في حدة ، وارتجفت شفتاه بضغ

لحظات ، قبل أن يخفض عينيه ، ويغمغم في التهيار :

- لن يمكنني احتمال فقدانها أبدًا .

أجابه (أدهم) في حزم :

- لقد هربت بإرادتها ، ولم يختطفها أحد .. تمالك

أعصابك ، وستستعيدنا بإذن الله .

ثم أشار إلى الملحق العسكري ، مستطردًا :

- اجلس يا رجل ، وقصّ عليّ كل شيء .. وبأدق

التفاصيل .

وجلس الملحق العسكري ..

وراح يروي ما حدث ..

وبأدق التفاصيل ..

★ ★ ★

فوك (جير) عينيه ، وهو يجلس أمام جهاز الكمبيوتر ،

في سيارة المراقبة ، والتفت إلى (دار) و (جولهي) ، قائلًا :

- كل الدلائل تشير إلى أن (أدهم) و (يائيل) لم يغادرا

(كراكس) بعد .. لقد طلبت من رجالنا مراقبة كل

المدخل والمخرج ، وطرق المواصلات الرسمية والخاصة ،

والميناء والمطار ، وكلهم أكدوا أن أحداً له مقاييسهما

لم يغادر العاصمة قط ، حتى هذه اللحظة .

قال (دار) في انفعال :

- إذن فهما بالداخل ، ويمكننا تفتيش كل منزل هنا ،

حتى نعثر عليهما .

مط (جير) شفتيه ، وهو يقول :
- ما زلت غيباً .

- انعقد حاجبا (دار) في غضب ، وهم يقول شيء ما .
ولكن (جير) تابع بسرعة :
- ألم تذكر بعد أن (بوناسيو) والحاكم ورئيس الشرطة
قد تخلوا عنكما ؟؟

كيف يمكنكم تفتيش العاصمة كلها دون معاونتهم ؟
قال (دار) في حدة :

- هؤلاء الأوغاد يستحقون القتل .
أشار (جير) بيده ، قائلاً :

- أتفق معك تماماً في هذا الأمر ، ولكننا لا نستطيع
قتلهم ، لذا فعلينا أن نبحث عن حل عملي ، لإخراج الرجلين
من مكنمهما .

قال (جولهي) في اهتمام :
- وكيف يمكننا هذا ؟

نوح (جير) بيده ، قائلاً :

- إننا نبحث عن الوسيلة .
انعقد حاجبا (دار) في تفكير عميق ، ثم قال في اهتمام :

- ماذا لو أننا نظاهرنا بالتوقف عن البحث ؟
رمقه (جير) بنظرة قصيرة ، ثم مال نحوه ، يمسأله
في شيء من السخرية :

- أخبرني يا (دار) .. كيف أنقذتهم بإسناد هذه العملية
إليك ؟

أجاب (جولهي) في سرعة :
- لم يعد الأمر كذلك .

التفت إليه (شيمون دار) بحركة عنيفة ، قائلاً في
حدة :

- ماذا تعني ؟

أجابه (جولهي) في هدوء :

- لقد أسندوا إليك العملية في البداية : لأنها لم تكن
تتجاوز عملية اغتيال عادية .. (يائيل) يقتل (ستاسي) ،
وأنت تقتله ، وينتهي الأمر .

انعقد حاجبا (جير) في دهشة ، وهو يقول :
- أهذا ما حدث ؟

احتقن وجه (دار) - وهتف محققاً :

- أيها القبي .. كيف جرؤت ..

قاطعه (جولهي) بصيحة هادرة صارمة :

- اصمت .. لا تتحدث مع رئيسك بهذا الأسلوب .

تراجع (دار) كالمصعوق ، هاتفاً :

- رئيسي ؟

أجابه (جولهي) في صرامة :

- نعم .. رئيسك اعتباراً من هذه اللحظة يا (شيمون) ..
لقد منحك الرؤساء فرصة العمل ، قبل أن يعلموا أن
(أدهم صبرى) نفسه سيتولى الأمر ، ووجوده يقلب
الأمر كلها رأساً على عقب ، فلست تمتلك الخبرة اللازمة
للتعامل مع رجل مثله .

ابتسم (جير) ، وهو يقول ساخراً :
- ولا مع أى رجل آخر .

رمقه (دار) بنظرة نارية ، وسيطر على أعصابه
الثائرة بكل قوته ، وهو يقول :

- فليكن يا (جولهى) .. لا يهم من يقود المهمة ..
المهم أن تنفذها بنجاح فى النهاية .
ابتسم (جولهى) فى ظفر ، قائلاً :
- بالضبط .

هم (جير) بقول شيء ما ، عندما ارتفع أزيز جهاز
الاتصال بغتة ، فضغط زرّاً صغيراً ، ووضع السماعة على
أذنيه ، واستمع إلى محدثه فى اهتمام بالغ ، قبل أن
يهتف فى النعال :

- حقاً ؟!

سأله (دار) فى لهفة :

- ما الذى حدث بالضبط ؟

أشار إليه بالصمت ، وهو يستمع مرة أخرى فى
اهتمام ، وعينه تيرقان فى ظفر ، قبل أن يقول :
- بالطبع .. بالطبع .. مستحسن على مكافأة إضافية
سخية .

وأنتهى الاتصال ، وهو يقول فى حماس :
- أخيراً أيها العادة .

سأله (جولهى) :

- ما الذى حصلنا عليه بالضبط ؟

أشار (جير) بسبائته ، مجيباً فى جنل :

- حصلنا على المفتاح اللام نفتح وكر (أدهم) و (يائيل)
يا رجل .

وأطلت من عينيهِ ضحكة ظافرة ، مع استطرأته .
- المفتاح المثالى .

وانتقلت الضحكة من عينيهِ إلى شفتيه ..
بل إلى كياته كله .

★ ★ ★

(كراكس) .. الثاني عشر من يوليو ..

الرابعة وأربعون دقيقة صباحاً ..

فركت (نيئا شيريدان) كفيها في عصبية ، وتثاغت في إرهاق ، وهي تجلس في مقر الجريدة السياسية الأولى في المدينة ، واستدارت تسأل محرر الطوارئ في توتر بالغ :

- هل اتصلت بأحد المسؤولين بالفعل ؟

أجابها المحرر في هدوء عجيب :

- اطمئني ياسينتي .. لقد اتصلت بنائب رئيس التحرير ،

وسيصل بعد قليل .. هل تريدين بعض القهوة ؟؟

أومات برأسها إيجاباً ، مغممة :

- نعم .. أرجوك .

صباً قسحاً من القهوة ، وتناولها بإياه ، قللاً :

- لقد أثار الأمر اهتمامهم بشدة ، عندما أخبرتهم أنه

يتعلق باغتيال السيناتور (ستاسي) ..

ارتشفت القهوة ، متممة في إرهاق :

- هذا صحيح .

سألها في اهتمام :

- هل تعرفين من اغتاله ؟؟

أومات برأسها إيجاباً ، وارتشفت رشقة أخرى من

القهوة ، قبل أن تجيب في حذر :

- نعم .. أعرفه .

تطلع إليها لحظة في صمت ، ثم سألها :

- ولماذا لم تبغني الشرطة ؟؟

أجابته بنفس الحذر :

- الأمر به تعقيدات كثيرة .

هز رأسه ، قللاً :

- آه .. فهمت .

ثم عاد يسترخي في مقعده ، ويسبل جفنيه ، متمماً :

- لقد اعتك مثل هذه الأمور .

لم يكذب عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف الداخلي ،

فاعتدل يختطف ساعته في سرعة ، وهو يقول :

- من المتحدث ؟

واستمع إلى محدثه في اهتمام ، قبل أن يضيف :

- حسن .. إنني أنتظرك .

ونهض من مقعده في حماس عجيب ، وهو يعيد

الساعة إلى موضعها ، فسألته (نيئا) :

- أهو نائب رئيس التحرير ؟

أجابها ، وهو يندفع نحو الباب :

- نعم .. إنه هو .

تلهّثت في ارتياح ، واسترخت في مقعدها ، ترتشف بقايا قحح القهوة ، وتتطلع إلى الجدار الزجاجي نصف للشفاف ، الذي يفصلها عن صالة التحرير ..

ولم تمض دقيقة واحدة ، حتى شاهدت قل أحد رجال الأمن ، وهو يقود رجلاً إلى الصالة ، فيتجه نحوه ظنّ محرّر الطوارئ ، وينهمكان في حديث قصير ، بعد انسحاب رجل الأمن ، ثم ناول ذلك الرجل لمحرّر مطروفاً ، و ...

وفجأة ، انتفض جسدها في عنف ..

لو أن هذا القادم هو نائب رئيس التحرير ، فلماذا تحدث هاتفياً ، قبل أن يأتي ؟؟ ..

ولماذا يقوده أحد رجال أمن الجريدة ؟؟

ثم ما ذلك الشيء ، الذي أعطاه لمحرّر الطوارئ ؟؟

استيقظ عقلها بغّة ، واستوعب الموقف كله ، فسقط قحح القهوة من يدها ، وهي تشهق هاتفة :

- رياه !

رأت الظلمين يتحركان في سرعة ، مع صوت سقوط القحح ، فقفزت من مقعدها ، وانطلقت تعدو نحو الشرفة ،

في نفس اللحظة التي اقتحم فيها رجل أمريكي المكان ،

وهتف بها :

- توقفي .

خفق قلبها في عنف ، وزادت من سرعتها ، وانطلق الأمريكي خلفها ، وراحا يعدوان في الشرفة الخارجية ، وهي تهتف :

- التجدة .. التجدة .. أنقذوني .

ثم التحرفت إلى أول مدخل صادفها ، و ...

وجدت نفسها بين ذراعي أحد رجال أمن الجريدة .. وفي هلع ، هتفت :

- التجدة .. هناك رجل يطاردني ، و ...

بترت عبارتها ، وانتفض جسدها في هلع ودعر ، مع تلك النظرة القاسية الصارمة ، التي أطلقت من عيني رجل الأمن ، فحاولت التملص منه ، صائحة :

- لا .. أنت لست رجل أمن حقيقياً .. لست ..

قبل أن تتم عبارتها ، أحاطت يد بفمها من الخلف ، واستنشقت رائحة نفّاذة قوية ، و ...

وانتهى الأمر ..

انتهى في لحظة واحدة ..

★ ★ ★

أعاد (أدهم) سماعة الهاتف إلى موضعها ، وهو
يعقد حاجبيه ، ويقول في حزم :

— لم يتم العثور عليها بعد ، ولكن رجالنا انتشروا في
العاصمة ، وسيبدلون قصارى جهدهم للبحث عنها .

تضاعف توتر (يائيل) ، وهو يقول :

— ماذا أصابها ؟! .. رياء .. ماذا أصابها ؟!

أشار إليه (أدهم) ، قائلاً :

— توترك لمن يفيد .. حاول أن تهدأ ، وأن تفكر

بتركيز ، و ...

قاطعته (يائيل) في مرارة :

— إن يمكنك أن تستوعب هذا الشعور ، لأنك لم تمر
به قط من قبل .

لم يعلق (أدهم) على العبارة ، على الرغم من المرارة
التي اعتصرت قلبه ، عندما نطق بها (يائيل) ..

ويأسخريّة العبارة !..

هو بالذات يتصور (يائيل) أنه ثم يمرّ بهذا الشعور
من قبل قط ..

هذا لأنه لا يعلم شيئاً عن حقيقة قلبه ومشاعره ..

لا يعلم بأمر تلك العاطفة القوية ، التي تربط قلبه بقلب
(منى) ..

تلك الحب النادر العظيم ، الذي جمع قلبيهما ، حتى
وهي في أعماق غيبوبتها الطويلة (*) ..

لا يعرف كم تمرق أكثر من مرة ، عندما تأن أعداؤه
يختطفونها ، أو يسيطرون عليها ؛ لهزيمته والقضاء عليه ..

لا أحد في العالم كله يمكنه أن يتصور شعوره ، عندما
أصابها ما أصابها ، وسقطت في تلك الغيبوبة ، التي حرمتها

منها ..

لا أحد يفهم أو يدرك عذابه ومرارته ، عندما فقت
ابنه (*) ..

لا أحد يفهم ، أو يمكن أن يفهم ..

لا أحد ..

وربما لا يشعر أحد ، أو يدرك ، أو يفهم ، لأنه يسيطر
دائماً على مشاعره وانفعالاته بإرادة فولانية ، كما فعل

في تلك اللحظة ، وهو يجيب (يائيل) :

— المهم أن نبذل قصارى جهدنا .

ثم أخرج من جيبه صورة كبيرة لشيخ أشيب الشعر
واللحية والشارب ، متغصن الوجه ، وضعها أمامه ، وراح

يمزج بعض المواد في وعاء كبير ، ويدهن بها طبعة
الوجه ، التي صنعها لتشيبه (يائيل) ، الذي قال في حدة :

(*) راجع قصة (الضربة للقاصة) ... لمقالة رقم (١٠٠) ..

- هل ستتفنى بهذا العمل السخيف ؟

أجاب (أدهم) فى صرامة :

- هذا العمل السخيف هو أساس خطتنا .

صاح (يائيل) :

- أية خطة ١٢.. لن ننقذ أية خطة ، إلا بعد عودة

(نينا) .

الكفت إليه (أدهم) فى صرامة ، قائلاً :

- هناك أكثر من عشرة رجال يبحثون عن (نينا)

الآن ، ونقد هربت بإرادتها ، ولم تتلزم بالخطة ، ولن

يفسد عملها الأخرق هذا خطتنا .

صاح (يائيل) :

- أية خطة هذه ؟! لا أحد يعرف هذه الخطة سواك ..

إنها مدفونة فى عقلك وحده .. ثم ماصلة الخطة بصورة

شيخ مأفون كهذا ؟

أجاب (أدهم) صارماً :

- هذا الشيخ المأفون هو الذى سيخرجك من هنا .

قال (يائيل) فى عداة :

- ليس قبل عودة (نينا) .

ثم يكد (يائيل) ينطلقها ، حتى تحرك (أدهم) فى سرعة ،

وجذبه من قميصه ، ثم دفعه نحو الجدار ، حتى ارتطم

به ، ورفع من القميص إلى أعلى ، فالتصت عينا (يائيل)
فى دهشة ، وقدماه تضربان الهواء ، فى محاولة للهبوط
إلى الأرض ، فى حين انعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة
لا قبل له بها ، وهو يقول :

- اسمعنى جيداً يا (يائيل) . أكثر من عشرة رجال

يجازفون بحياتهم ، ويخاطرون بأرواحهم ؛ ليضمنوا

سلامتك وأهلك ، ويبدلون قصارى جهدهم لمعاونتك على

الخروج من هنا ، والوصول إلى (مصر) . ولن أسمح

لك بإفساد هذه الخطة قط .. ستتلتزم بكن خطوة فيها ،

وتخضع لكل مرحلة ، وتترك الباقي لنا .. هل تفهم ؟

حرك (يائيل) قدميه مرة أخرى ، وارتجف قلبه ،

عندما أدرك أن (أدهم) يرفعه عن الأرض بيد واحدة

بالفعل ، وارتجفت السماء فى عروقه ، مع نظرتة القوية

ونهجته الصارمة ، مما جعله يغمغم ، فى لهجة أقرب

إلى الرجاء :

- وماذا عن (نينا) ؟

أجاب (أدهم) فى حزم :

- أنا المسئول عن سلامتها .

ارتجفت شفتا (يائيل) لحظات ، قبل أن يخفض عينيه ،

متمتماً :

- فليكن .

تركة (أدهم) يهبط على قدميه ، وهو يقول :

- هذا أفضل .

ثم عاد يواصل عمله فى هدوء عجيب ، وكأنه لم يتصرف بمنتهى العنف ، منذ لحظة واحدة ..

وفى دهشة ، تطلع إليه (يانيل) ، وتسأل فى أعماقه ..

أى نوع من الرجال هذا ؟؟ ..

بل أى نوع من البشر ؟؟ ..

لقد درس ملفه طوال ثلاث سنوات ، وعرف عنه الكثير والكثير ..

وتصور أنه يفهمه تماما ..

حتى التقى به ..

لقد كشف لحظتها أن كل ما درسه لم يكن يساوى شيئا ..

فالرجل أعظم مما تصور بكثير ..

صحيح أن دراسة شخصيته كانت ممتعة ..

ولكن مراقبته وهو يعمل ، هى المتعة نفسها ..

إنه شخص يجبرك على طاعته واحترامه ، حتى ولو

كنت عدوه ..

شخص يستحق اللقب الذى يحمله ..

لقب (رجل المستحيل) ..

« هل سمعنا هذا ؟؟ .. » ..

اندفع الملحق العسكرى من الشرفة ، وهو يهتف

بالعبارة ، فالتفتا إليه معاً ، وأرهف كل منهما أذنيه ،

فتناهى إلى مسامعهما صوت يأتى عبر مكبر صوت بعيد ،

يقول بالعبرية :

- (نينا) لدينا .. اللقاء فى السادسة صباحاً .. الميثاء

القديم ..

اتعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، فى حين انتفض جسده

(يانيل) فى غضب ، وهم بالاندفاع نحو الشرفة ، عاتفا :

- يا للأوغاد !

ولكن (أدهم) وثب يمسكه فى حزم ، وهو يقول :

- انتظر يا رجل .. هذا ما يسمعون إليه .. أن يدفعك

الانفعال إلى كشف مخبك وفضح أمرك بنفسك .

كان النداء يتردد على نحو مستفز ، عبر يوق سيارة

المراقبة الأمريكية ، التى تجوب شوارع (كراكسن) ، فقل

(يانيل) فى عصبية :

- لقد أمسكوا بها .. ألم تفهم ؟

قال (أدهم) فى صرامة :

- بل فهمت : ولكن (نينا) ليست مفهم الرئيسية ..
إنهم يريدونك أنت . وما هي إلا وسيلة لصيدك ، فلا
تمنحهم الفرصة لتحقيق مآربهم .

هاتف (يانيل) في مرارة :

- هل تريد مني أن أتخلى عن (نينا) ؟

أجاب (آدم) بسرعة :

- مطلقا .. ولكنني لا أريد أن تبتلع اللطم بهذه السذاجة .

سأله في مرارة ، وهو يسد أنفيه بكفيه ، في محاولة
لحجب نك النداء المتكرر المستقر عنهما :

- ماذا أفعل إذن ؟.. ماذا أفعل ما دمنا لا نستطيع السعي

لإنقاذها ، ولا أطبق البقاء ماعنا ؟

أجابه (آدم) في حزم :

- نلتزم بالخطة ، وتترك لي أمر (نينا) .

هاتف (يانيل) :

- مستحيل !.. لن أتخلى عنها أبدا .

أمسك (آدم) كتفيه فجأة ، وهو يقول في صرامة ،

متطلعا إلى عينيه مباشرة :

- (يانيل) .. هل تثق بي ؟

شعر (يانيل) بالأصابع القولاذية على كتفيه ، وتطلع

مبهوتا إلى العينين الصارمتين ، ينظرتهما القوية العسيفة .

وتمتم :

- نعم .. أتثق بك تماما .

قالتها ، وهو يضي كل حرف منها بإتقان ، فترك
(آدم) كتفيه ، وقال :

- عظيم .

ثم اتجه إلى طابعة الوجه ، وعاد يصنع القناع المنشود
بمنتهى الهدوء ، مستظوبا :

- التزم إذن بالخطة .

ونم يعترض (يانيل) هذه المرة ..

نم يعترض ، على الرغم من أنه مازال يجهل كل
شيء عن تلك الخطة ..

كل شيء ..

★ ★ ★

تقبت زوجة المفتش (ياردو) في فراشها ، وتحسست

موضع زوجها الخالي ، ثم اعتلت جالسة ، وفتحت عينيها

في قلق ، ونهضت ترتدي معطفا منزليا رقيقا ، لتتجه إلى

الشرفة ، حيث وقف زوجها ، مستندا إلى حاجز الشرفة ،

فسالته في قلق :

- أين تنتهي هذه الليلة أبدا ؟

أشار إليها بيده ، قائلا :

- اصمتي واستمعي .

انتبهت لحظتها فقط إلى تلك النداء ، الذي يتردد من بعيد بلغة غريبة ، فسألته في حيرة :
- ما هذا ؟

هز رأسه نفيا ، وهو يجيب :
- لست أرى .

ثم التفت إليها مستطردا :

- ولكن لماذا في رأيك تدور سيارة أجنبية في قلب العاصمة ، في الخامسة صباحا ، لتردد نداء بنغة لا نفهمها ؟!

أرهفت السمع ، مغممة :

- تبدو لي كأحدى اللغات الشرقية .. العربية أو الفارسية (*) .

هز رأسه نفيا ، وهو يقول :
- بن هي العبرية .

سألته في دهشة :

- وكيف عرفت هذا ؟

التقط نفسا عميقا ، وقال :

- لدى أسبابي .

(*) الفارسية : لغة إيرانية . من الفصيلة الفرعية الهندية الإيرانية . لغات الهندية الأوروبية .

ثم اندفع إلى مكتبه ، فسألته حائرة :
- ماذا ستفعل ؟

عاد يحمل جهاز التسجيل الصغير ، وهو يقول :

- أريد معرفة فحوى النداء ، وليست لدى وسيلة سوى تسجيله ، واستشارة شخص يفهم تلك اللغة .
سألته ، وهو يسجل النداء .

شخص مثل من ؟

أشار إليها بالصمت . فلانت به مرغبة ، والفضول يكاد يلتهمها . وهو يسجل النداء عدة مرات ، قبل أن يلتفت إليها ، قائلا :

- مثل (ماريوس) .. أمه كانت يهودية .. أليس كذلك ؟

أومأت برأسها إيجابا ، وهي تقول :
- نعم .. أعتقد هذا .

عاد إلى الداخل ، واتجه إلى الهاتف مباشرة ، فقالت مستكرة :

- هل ستصل به الآن ؟

أجاب وهو يضغط أزرار الهاتف :

- بالتأكيد .. إنه يستيقظ دائما متأخرا ، ولن يضيره أن يستيقظ مرة واحدة مبكرا .



ثم نهض يلتقط مدمسه ، ويدسه في حزامه ، وهو يرتدي سترته ،

فنهفت به زوجته : — هل مخرج ثانية ؟

سألته في حرج :

— ولماذا لا تنتظر حتى الصباح ؟

أشار بإبهامه ، قائلا :

— لأن الأشخاص الذين يستخدمون مكبراً للصوت ، لنشر

نداء ما في المدينة ، في الخامسة صباحاً ، يعلمون جيداً

أن الأمور لا تحتمل الانتظار حتى شروق الشمس .

ثم اعتصر ساعة الهاتف بأصابعه ، قائلا :

— صباح الخير يا (ماريوس) .. أنا (باردو) .. نعم ..

أعلم كم الساعة الآن .. اخرس ، واستمع إلى ذلك النداء

جيداً ، وترجم لي فحواد مباشرة .

وأنى جهاز التسجيل من الهاتف ، وضغطور الاستعادة ،

وانتظر لحظات ، ثم سأل في لهفة :

— هه .. ما الذى يعنيه هذا ؟

واستمع إليه في اهتمام بالغ ، قبل أن يقول :

— عظيم .. عد إلى نومك يا (ماريوس) .. لقد أتيت

لي خدمة حقيقية ، لأول مرة في حياتك .

ثم نهض يلتقط مدمسه ، ويدسه في حزامه ، وهو

يرتدي سترته ، فنهفت به زوجته :

— هل مخرج ثانية ؟

التفت إليها ، قائلا :

.. بالنطبع يا زوجتى العزيزة .. لقد شارفت الليلة
نهايتها ، ولست أحب أن يفوتنى المشهد الأخير .. إلى
النقاء .

خفق قلبها فى عنف ، وهو يغادر المنزل ، وراودها
ذلك الشعور المزعج ، بأنها لن تراه مرة ثانية ..
على قيد الحياة ..

★ ★ ★



١٢ - وجهاً لوجه ..

(كراكن) .. الثانى عشر من يوليو ..

الخامسة والتصف صباحاً ..

« السادة المسافرين على طائرة (تى ، ديبىو ، إيه) ،
المتجهة إلى (نيويورك) . عليهم التوجه إلى بوابة السفر
رقم أربعة .. »

تردد ذلك النداء بعدد من اللغات المختلفة ، فى مطار
(كراكن) . وألوان الشفق المتموجة ، ما بين الأحمر
والبرتقالى والأخضر والأزرق ، تشفى عن استبعاد الشمس
لبداء رحلتها اليومية فى السماء ، وتوزع ثلاثة من رجال
(الموسدا) ، فى مناطق مختلفة فى المطار ، يقصون وجوه
المسافرين فى اهتمام وحرص بالغين ، ويراقبون كل حركة
يأتى بها مسافر أو مودع أو مستقبل ، بالاشتراك مع عدد
من ضباط الجمارك ، الذى منحوا ولاءهم للإسرائيليين ،
مقابل مبالغ مختلفة من المال ..

ووسط كل هذا ، ظهر شيخ أشيب الشعر والنحية
والشارب ، يخفى عينيه ونصف وجهه المتقطن خلف منظار

طبي سموك كبير ، وهو يجلس على مقعد متحرك ، يدفعه
شاب أمريكي بسيط ، والشيخ يقول في ضجر وتبرم :

- لقد تأخرنا .. أراهن على أننا تأخرنا .. أنت المسئول
عن هذا .. دائما أنت المسئول .

بدا الحرج على الشاب ، وهو يقول :

- رويديك يا جدي .. إنه النداء الأول .. ما زال أماننا
الكثير من الوقت ، قبل أن تقلع الطائرة .

لوح الشيخ بيده : هاتفا :

- خطأ .. خطأ .. أنت تكذب .

زفر الشاب في ضجر ، قبل أن يقول :

- لا تقلق يا جدي .. أرجوك لا تقلق .

للتقلت عيون رجل (الموسد) إلى الشيخ على الفور ،
ويدانهم وجهه المتغضن ، مع لحيته الكثنة وشاربه الضخم ،
ونلك المنظار الطبي الكبير أشبه بقناع متقن ، فهمس أحدهم
لزميله :

- هل ترى هذا الشيخ هناك ؟

أجابته في توتر :

- نعم .. والفكرة راودتني أيضا .

قال الأول في حزم :

- أراهن على أنه رجل متكرر .. هذه الملامح لا تبدو
طبيعية أبدا .

غمغم الثاني :

- بالتأكيد .

ثم أشار بيده إشارة خفية لأحد ضباط الجوازات ، الذي
تبع الإشارة ، حتى وقع بصره على الشيخ ، فهز رأسه

دلالة الفهم ، واتجه إلى الشيخ مباشرة ، وهو يقول :

- هل لي أن أرى جواز سفرك يا والدي ؟

عند الشيخ حاجبيه الكثين ، وهو يقول في عصبية :

- لماذا ؟

أجابته الضابط في صرامة :

- إنه إجراء أمني .

لوح الشيخ بيده في حدة ، قائلا :

- ولماذا تقوم بإجراءاتك الأمنية معي أنا بالذات ؟ ..

المطار يكتظ بالناس ، فلماذا أنا بالتحديد ؟

تضاعفت صرامة الضابط ، وهو يقول :

- جواز سفرك يا رجل ، وإلا ..

هتف الشيخ في غضب :

- وإلا ماذا ؟ .. هه .. وإلا ماذا ؟ .. هل مستضرب شيخا

مثلي ؟

أسرع الشاب يتدخل ، قائلا :

- رويديك يا جدي .. ارجل يؤدي واجبه فحسب .

وناول جواز السفر للضابط ، مستطردا :

- ها هوذا جواز السفر .. إننى أعتذر عما بدر من

جدى .

هتف الشيخ فى غضب :

- تعذر !؟ .. ولماذا تعذر !؟ .. أنا لم أرتكب أية أخطاء .

فتح الضابط جواز السفر ، وراح يطالعه فى اهتمام ،

بحثا عن أية علامة من علامات التزوير ، إلا أنه بدا له

شيئا تماما ، فقال فى حزم :

- معذرة .. سأفحص جواز السفر إلكترونيا .

صاح الشيخ :

- تفحصه إلكترونيا !؟ .. هذا تعنت .. إسرائف .. تجاوز

أمنى ..

لم يبال الضابط بثورته ، وهو يحمل جواز السفر إلى

حجرة الأمن ، ويدفعه داخل جهاز الفحص الإلكتروني ،

فى نفس اللحظة التى لحق به فيها أحد رجال (الموساد) ،

وقال فى لهفة :

- جواز زائف .. أليس كذلك ؟

حدث ضابط الجوازات رأسه فى حيرة ، وهو يقول :

- بل جواز سفر سليم تماما ، لا شبهة فيه ، وأرقامه

تطابق ما حصل عليه جهاز الكمبيوتر .. نفس الاسم

والصورة والوظيفة .

عقد رجل (الموساد) حاجبيه ، وهو يقول :

- عجباً ! .. ولكن الرجل بدا لى ...

ثم بتر عبارته ، ليهتف فى حماس :

- آه .. فهت .. جواز السفر سليم ، ولكن الرجل زائف

لقد حصلوا على جواز السفر ، وصنعوا قناعا لرجل

المنشق .. فليقطع ذراعى لو لم يكن الأمر كذلك ..

هز ضابط الجوازات كتفيه ، قائلا :

- هذا أمر يسهل التأكد منه .

ثم غادر حجرة الأمن ، واتجه مباشرة إلى الشوم

وناول جواز السفر لحفيده الشاب ، وهو يقول :

- معذرة .. كنت مجرد إجراءات أمنية .

هتف الشيخ غاضبا :

- بل هى تعنتات لا مبرر لها .. سأقاضيكم من أجل

سوف ...

قيل أن يتم عبارته ، انحنى ضابط الجوازات بغير

وجذب لحيته ..

وانتفضت أجساد رجال (الموساد) الثلاثة ..

وكانت المفاجأة مدهشة ..

مدهشة بحق ..

★ ★ ★

ألقى (رونالد جير) نظرة على ساعته ، التي أشارت عقاربها إلى الخامسة وأربعين دقيقة ، وهو يقف عند الميناء القديم ، وتطلع في صمت إلى الأفق ، حيث بدأت الشمس رحلتها ، فسأله (جولهي) في قلق :
- هل تعتقد أنهما سيحضران إلى هنا ، في الموعد المحدد ؟

أجابته (جير) في حزم :
- أحدهما سيأتي على الأقل .

قال (جولهي) قلقاً :
- ولكنه فُخ واضح للغاية .

عز (جير) رأسه نغماً ، وهو يقول :
- ليس فخاً يارجل . إنها مقايضة واضحة ومباشرة ، وسيقيمها غلامها على الفور .. إننا نطلب حياة (يائيل) مقابل حياة الفتاة .

قال (دار) :
- وهل تعتقد أن (ليل) يمكن أن يضحى بحياته من أجلها ؟

ابتسم (جير) في سخرية ، قائلاً :

- بن أنا واثق من أنه لن يستطيع مقاومة هذا . ألم يحتمل كل ما احتمل من أجلها ؟ .. أليس حبه لها هو الذي دفعه لطلب الاعتزال المبكر ، وهو الذي شغل به كل هذا ؟

قال (دار) في حزم :

- (دهم صبري) سيمتعه من الحضور .. لو أنني في مكانه لما خاشرت بخسارته من أجلها .

أجابته (جير) في برود :

- من حسن الحظ إنك لست في مكانه . فإنت لا تتركند في التضحية بأهلك نفسها ، في سبيل سلامتك ، أما هو ، فمقدار ما لديه من حماسة يدفعه للمخاطرة بحياته ، في سبيل الآخرين .

مط (جولهي) شفثيه ، مبغضاً :

- لن يمكنني فهمه أبداً .

أشار (جير) بيده ، قائلاً :

- لا تحاول .

ثم اتعقد حاجباه في صرامة ، وهو يستطرد :

- والآن دعونا لائقف هنا .. انذهب فاختف خلف ذلك الرصيف هناك يا (دار) .. أما أنت يا (جولهي) ، فعند المخزن القديم .

سأله (دار) :

- وماذا عن الفتاة ؟

أجابته (جير) في هدوء :

- تركها داخل السيارة ، حتى نحتاج إليها .

ضعف (دار) :

- فليكن .

قائلاً ، وأسرع نحو الترصيف القديم ، واختفى خلفه ،
وهو يمسك مسدسه في تأهب ، في حين اتجه (جولهي)
إلى المخزن القديم ، وقال لأحد رجاله في حزم :

- لو حاول ذلك الأمريكي اللعين حسب الموقف لصلحه ،
أطلق عليه النار بلا تردد ، وسندعي بعدها أن (أدهم
صبري) هو الذي فعل هذا .

كانوا خمسة من رجال (الموساد) ، وثلاثة من المخابرات
الأمريكية ، لا يظهر منهم سوى (جير) وحده ، أما الباقون
فيختفون في أماكن شتى ، بحيث يمكنهم مراقبة الميناء
القديم كله ، والسيطرة على كل ركن فيه ..

وراحت النقائق تمضي في بطء ، وعشرات التساؤلات
تشتعل في أعماق (جير) ..

ترى أيهما سيأتي ١٤ ..

(يائيل) وحده ، أم (أدهم) ١٥ ..

أم أن كليهما سيأتيان ١٦ ..

لم يضع في اعتباره قط احتمال عدم قدومهما ، فقد
درس شخصيتهما جيداً ، ويدرك أن أحدهما سيأتي حتماً
أحدهما على الأقل ..

ولكن من ١٧ ..

من ١٨ ..

مرت في أعماقه قسرية مباغتة ، عندما ارتفعت
صيحة بقعة ، من أحد الأماكن ، التي يختفى فيها رجاله ،
والتفت إلى مصدرها ، عاتفاً :

- ماذا حدث ؟

برز رجل آخر ، قائلاً :

- أعتقد أنه (بين) هناك .

أشار (جير) بيده ، قائلاً :

- (بين) .. أنت بخير ؟

ولما لم يتلق جواباً ، العبد حاجباه في شدة ، وقال :

- أذهب لتفقد الأمر يا (آدم) .

أمسك (آدم) مسدسه في قوة ، وتحرك في خفة ،

نحو الموضع الذي يختفى فيه (بين) ، ولم يكذ يبلغه ،

حتى متف :

- رباه ١٩ .. إنه فاقد اتوعى يا (جير) .. إنه ..

بتر عبارته بشهقة عذبة ، ثم صوت سقوط جسم

على الأرض ، فهتف (جير) ، وهو يستل مسدسه :

- إنه هناك .. أطلقوا النار ..

برز (جولهي) و (دار) من مخبئتهما ، مع رجالهما
الثلاثة ، وراحوا يطلقون النار على ذلك الموضع في
إسراف ..

ونجاة ، شهق أحد الرجال الثلاثة ، وسقط أرضاً فهاقد
لوعس ، واتسعت عيناه (جير) في دهشة متوترة ، عندما
شاهد ذلك الشيء ، الذي فقد الرجل وعيه ..
لقد كان سهماً صغيراً ، في قمته كتلة صلبة ، ارتطمت
بجبهة الرجل ، وأفقنته وعيه على الفور ..
وفي عصبية ، هتف (جير) :
- توقفوا .. توقفوا .. إنه ليس هناك .

ومع صيحته ، انطلق سهم آخر ، ارتطم بجبهة رجل
ثان من رجال (الموساد) ، وأسقطه أرضاً ، فتوقف
(دار) و (جولهي) ورجلها المتبقي عن إطلاق النار ،
وتلفتوا حولهم في توتر عصبى ، وهتف (جولهي) :
- ماذا حدث يا مستر (جير) ؟! .. هل وقعنا في فخ ،
بدلاً من أن نصلح فخاً ؟!

صاح به (جير) في عصبية :

- اصمت أيها الثغبي .. ما زال لدينا سلاحنا الرئيسى .
ثم هتف بصوت مرتفع .

لاداعى لما تفعله .. أفسح عن نفسك ، وإلا فنتلأ الفئانك

ارتفع صوت (يانيل) ، من مكان ما ، وهو يقول :
- خطأ يا مستر (جير) .. لقد غادرتكم جميعاً مكافئتم ،
وأصبحتم في مرمى نيران بنديتي ، التي أصوبها إلى
أذنكم .. والان أخبروني .. من منكم يرغب في المغامرة .
بدا عليهم التوتر الشديد ، وعقد (جير) حاجبيه ،
قائلاً :

- هل تجازف بحياة (نيئا) ؟

أجابته (يانيل) في صرامة :

- لو مستم شعرة واحدة من رأسها ، سأطبخ برعوسكم
جميعاً .

صاح (جير) :

- ونو مستم شعرة واحدة مثلاً ، أقسم أن أتسف رأسها
الجميل نسفاً .

قال (يانيل) في حزم :

- اتفقتا يا مستر (جير) .. ألقوا أسلحتكم ، وسالقي
سلاحي :

قال (دار) في حدة :

- لن أتخلي عن سلاحى قط .

والقى (جولهي) سلاحه أرضاً ، وهو يقول في غضب :

- أيها الثغبي ، لن يمتك الاستفادة به فى الجحيم .

تبعه رجل (الموساد) ، وألقى سلاحه بدوره ، في حين تروك (دار) لحظة ، قبل أن يلقى مستسه في غضب ، هاتفا :

.. اللعنة .

وبقي (جير) وحده ، وهو يقف متوترا ، عاقدا حاجبيه ، فسأله (يانيل) :

.. وماذا عنك يا مستر (جير) ؟

أجابه (جير) في حدة :

.. ألقى سلاحك أولا .

قال (يانيل) في حزم :

.. تلا يا مستر (جير) .. إني أملكك فرصة واحدة

لإلقاء مستدك ، وإلا نسفت رأسك مباشرة .

التفت حاجبا (جير) في شدة ، حتى خيل للإسرائيليين

الثلاثة أنهما لن يفترقا بعدها أبدا ، وهو يلقى سلاحه

في حدة ..

وارتفع صوت (يانيل) ، قائلا :

.. عظيم .

ومن منطقة بعيدة ، عند مخزن السيارات المتهالك ،

برز (يانيل) ، وهو يحمل بندقيته ..

ولى سخط ، غشم (جولهي) :

.. ذلك الحقيير خدعنا جميعا .

وقال (دار) :

.. أقسم أن أقتله وانفتاة معا .

أما (يانيل) نفسه ، فقد بقي ثابتا صامتا لحظات ، ثم

تقدم نحو (جير) في حذر ، وهو يقول :

.. أين (نيلا) ؟

أشار (جير) إلى ساعته ، قائلا في عصبية :

.. إنها لم تبلغ السادسة بعد .

أجابه (يانيل) :

.. أعلم هذا .. صحيح أن قواعد النياقة تحتم عدم الحضور

قبل الموعد ، ولكن قى عملنا ، من الأفضل أن تصل قبل

الموعد ، حتى يمكنك دراسة تحركات خصك ، على أرض

المعركة .

عقد (جولهي) حاجبيه ، وهو يقول :

.. من أين اكتسبت هذه الخبرة ؟

التفت إليه (يانيل) ، وأجابه في صرامة :

.. من إصراركم على القضاء على ..

قال (جير) في توتر :

.. كان المفروض أن تلقى سلاحك أيضا .

أجابه (يانيل) صارما :

- ليس قبل وصول (نينا) .

رأى عليهما الصمت لحظات ، وكل منهما يتطلع إلى
عيني الآخر في صرامة ، ثم التفت (جير) إلى رجل
(الموساد) ، قاتلا :

- احضر الفتاة .

تردد الرجل لحظات ، حتى قال له (جونهي) في صم :
- احضرها .

وهنا تراجع الرجل في ببطء ، ثم انطلق يعدو نحو
خزان مياه قديم ، فسلق سلمه في نشاط ، وغاب داخله
لحظات ، وعاد وهو يمسك (نينا) المقيدة في إحكام ،
وتم يكد بصرها يقع على (يائيل) ، حتى هتفت في لهفة
مذعورة :

- (يائيل) .. لماذا أتيت ؟ .. لماذا ؟

أشار (جير) للرجل بالتوقف ، وهو يقول في صرامة :

- والآن يا (يائيل) .. أنت مستعد للمقايضة ؟

سأله (يائيل) بلهجة شبه ساخرة :

- أية مقايضة يا مستر (جير) ؟ .. (نينا) هنا ، وأنا
أحمل السلاح ، فما الذي يدعوني للمقايضة ؟

ابتسم (جير) في سخرية ، وهو يشير إلى الرجل
التمسك بـ (نينا) ، قاتلا :

- هذا يدعوك إليها .

ومع إشارته ، أبرز الرجل بفتة ، مسددا قويا ، وانصق
فوهته بجمجمة (نينا) ، التي شهقت في ذعر ، واسترجت
شهقتها بضحكة (جير) الساخرة ، وهو يقول :

- هل تصوّرت أنك تتعامل مع هوة يا (يائيل) ؟ ..
حضورك المبكر كان في الحسبان أيضا .. أعترف أننا قمتنا
المكان كله ، دون أن ننتبه إلى جردك ، وهذا قصور
شديد فينا ، ولكنني اتخذت الحيلة ، وأخفيت مسددا قويا ،
في نفس المكان الذي احتفظنا فيه بفتاتك .. ونقد أفنحت
الحيلة .

ثم مال نحوه ، مستطردا في ظفر .

- والآن يا عزيزي (يائيل) .. أيهما تختار ؟ .. حياتك أم
حياة محبوبتك .

هتف (جونهي) ، وهو ينحنى لالتقاط مسدسه في
سرعة :

- رابع يا مستر (جير) .. رابع .

أما (دار) ، فقد وثب ينطلق مسدسه بدور ، صالحا :

- لا على أنا أختار .. لقد اخترت حياتكما معا .

وهنا تحرك (يائيل) في مرعة ، هاتفا :

- وماذا عن حياتك أنت ؟

جذب ضابط الجوازات لحية الشيخ في عنف ، فاشترأبت
أعناق رجال (الموساد) الثلاثة، وتوقعوا أن ينكشف
أمر الشيخ المزيف ، ولكن أجسادهم انقبضت في عنف ،
مع تلك الصرخة التي أطلقها الشيخ :

— ماذا تفعل أيها المجنون ؟

ارتدت ضابط الجوازات مصعوقاً ، أمام تلك المفاجأة ،
في حين راح الشيخ يصرخ :
— هذا تعنت .. جنون .. أين المسؤول هنا ؟ .. أريد شخصاً
يمكنني مقاضاته .

وهاتف حليده محققاً :

— هل لك أن تفسّر لي ما فعلته ؟ .. إني أطالب بتعويض

مناسب !

ارتبك ضابط الجوازات ، واضطرب ، وهو يقول :
— معذرة يا سيدي .. معذرة .. ثم يكن هذا مقصوداً ..
أنا مستعد لأية ترضية .. أنا رهن إشارتكما .
صرخ الشيخ :

ودار جسده في مرونة مذهشة ، ليطلق رصاصته
الأولى نحو ذلك الرجل ، الذي يمسك (نينا) ، ويطيح به
بإصابة دقيقة مباشرة ، ثم يلتفت إلى (دار) و (جولهي) ،
ويطلق النار على المسدس الذي يمسك به الأول ، في
نفس اللحظة التي انقضّ عليه فيها (جبر) ، هاتفاً :
— لن تربح أبداً .

اتحنى (يانيل) متفادياً الرصاصة ، التي أطلقها
(جولهي) نحوه ، ثم أدار بندقيته في سرعة مذهشة ،
وضرب وجه (جبر) بكعبها في عنف ، قبل أن يديرها
مرة أخرى ، ويطلق منها رصاصة ثالثة ، أطاحت بمسدس
(جولهي) .. قبل أن تنطلق منه رصاصة أخرى ..
وسقط (جبر) في عنف ، مع قوة الضربة ، ثم هبّ
واقفاً ، وحنق في المسدسين ، اللذين أطاحت بهما رصاصات
(يانيل) ، قبل أن يثير نحوه ، صارخاً :

— يا للشيطان ! .. أنت لست (يانيل) .. نمت (يانيل) .

وهنا اعتدل (آدم) ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة
ساخرة ، وهو يستعيد صوته الطبيعي ، قائلاً :
— بالطبع أيها الذكي .. أنا لست (يانيل) .

وكانت مفاجأة لجميع ..

مفاجأة مذهلة .



دفع حفيده اللحد المتحرك أمامه مسرعا ، حتى بلغ دووة المياه

وضابط الجوازات يتابعهما بوجه محقق ..

- أريد تعريضا عما أصابني ، وما لحق بي من إهانة ..
مليون دولار .. سأطلب مليون دولار على الأقل .
استمع وجه ضابط الجوازات ، وهو يقول :
- لا ادعى لتعقيد الأمور ياسيدي .. قلت لك إنني مستعد
لأية ترضية .

صاح الشيخ :

- قلا .. نأ أقبل بقل من ... من ...

ثم اجتاحت نوبة سعال عنيفة ، ففوح حفيده بيده ، وقال :

- معذرة .. سنناقش هذا فيما بعد .. جدي يحتاج إلى

جرعة ماء .

هتف الشيخ :

- دووة المياه .. اذهب بي إلى دووة المياه في سرعة .

دفع حفيده المقعد المتحرك أمامه مسرعا ، حتى بلغ

دووة المياه ، وضابط الجوازات يتابعهما بوجه محقق .

قبل أن يتجه إلى رجز (الموساد) ، قاتلا في حلق :

- نعمة الله عليكم .. لقد وضعتوني في موقف شديد

الحرج .

ثم يكن يدرى ، أنه في نفس اللحظة ، التي نطق فيها

عبارته ، كان الشيخ ينهض من مقعده المتحرك ، وهو

يقول لحفيده في جنن :

- هل لعبت دورى جيداً ؟

ابتسم حفيده الأثغر ، وهو يقول بالأمريكية :

- كنت رائعاً يا ماستر (ويلبى) .

ثم التفت إلى أحد الأبواب المغلقة ، مستطرداً باللغة العربية ، ويلهجة مصرية خالصة :

- كل شيء على مايرام .

ولم يكذ ينتهى من عبارته ، حتى يبرز أحد رجال المخابرات المصرية ، من خلف الباب المغلق ، وبصحبة رجل ، هو نسخة طبق الأصل من الشيخ - حتى أن هذا الأخير هتف مبهوراً :

- رباه .. أهذا أنا .

وبسرعة ، جنس ذلك البديل على المقعد المتحرك ، بلا من الشيخ ، وقد بدا نسخة طبق الأصل منه ، باستثناء انطون ، الذي اتكأ في المقعد ليخفيه ، وقال رجل المخابرات المصرى بالعبيرية وهو يريث على كتفه فى اهتمام ، ويأوله جواز سفر (ويلبى) :

- رحنة موفقة يا ماستر (يايليل) .

أوماً إليه البديل برأسه ، مغضباً فى توتر :

- اتعشم هذا .

ابتسم الأثغر ، وقل للشيخ بالأمريكية :

- وداعاً يا ماستر (ويلبى) .. كان العمل معك مستمتعاً .

هتف الشيخ فى سعادة :

- حقاً ؟؟

لوح له الأثغر بيده ، ورفع المقعد المتحرك أمامه ، مغادراً المكان ، وعالداً إلى صالة الجوازات ، ففرد الشيخ كفيه ، وقال فى جنل :

- عظيم .. المفروض أن أسجل هذه اللحظات .. طيلة عمرى كنت أطمح بلعب دور (جيمس بوند) (*) . ولقد لعبته فى الحياة الواقعية ببراعة .

وضع رجل المخابرات يده على كتفه . قائلاً :

- ولكن الدور لم ينته بعد يا ماستر (ويلبى) .

تطلع إليه الرجل فى دهشة . قائلاً :

- لماذا ؟؟ لقد رجل ينجلي بالفع .

أجاب رجل المخابرات بابتسامة هادئة :

- ولكن لو وقع بصرهم عليك ، ستكتشف اللعبة على الفور ، وحتى لو رحلت الطائرة ، فسيطلبون من رجالهم لتتظاره فى (نيويورك) ، والتخلص منه فور وصوله إلى هناك .

(*) جيمس بوند : شخصية رجل مخابرات بريطانى ، يمتلك مهارات فذة يتكرها (آيان فلينج) . رجل لمخابرات البريطانى السابق . ونشر مغامراته كنوع من التعريف بنشاط المخابرات فى البداية ، ثم لم تلبث لشخصية أن نالت شهرة واسعة ، فى جميع أنحاء العالم .

عقد الشيخ حاجبيه ، وهو يقول فى اهتمام :
 - عجباً !.. كنت أظن أن اللعبة قد انتهت !
 هز رجل المخابرات رأسه نفياً ، وهو يقول :
 - بل بقيت خطوة هامة يا مستر (ويلبى) .. خطوة
 يعتمد عليها نجاح العملية كلها .
 تطلع إليه الشيخ لى قلق ، وشعر من ملامحه أن
 الخطر ما زال قائماً ..
 وبشدة ..

★ ★ ★

اركة (دار) كاتمصرق ، وهو يحثق فى (أدهم) ، الذى
 التزع عن وجهه قناع ' ياتيل ' ، والقاء جانباً ، وهو يتسم
 ساخراً ..
 أما (جولهى) و (جير) ، فقد جمدهما المفاجأة فى
 موضعهما ، فى حين أطلقت (نينا) شهقة غوية ، وهى
 تهتف :

- مستحيل !

أشار إليها (أدهم) بيده ، قائلاً :

- اقتربى ياسينتى .. لقد انتهت مرحلة الخطر .

أسرعت إليه (نينا) ، وبداها مقيدتان خلف ظهرها ؛
 فحل وثاقها فى سرعة ، وبندقيته مصوبة إلى الرجال
 الثلاثة ، فقل (جير) فى غضب :

- لقد قرأت كثيراً عن حنجرتك البرنة ، وفوتك المذهلة
 على التنكر ، وأعترف أن ما تصوره أذاك ضرباً من
 المبالغة ، كان فى الواقع أقل بكثير من الحقيقة .
 قال (أدهم) ساخراً :
 - إنك تثير غرورى .

واسل (جير) فى مقت :

- وأنت تثير ذهولى ، فلقد كانت لدى قناعة لا تقبل
 الجدل ، بأنه من المستحيل أن يتنكر شخص ما فى هيئة
 أخرى ، دون أن تكشف أمره من اللحظات الأولى .

هز (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

- ولكنك كشفت أمرى بالفعل .

لوح (جير) بيده ، قائلاً :

- ليس بسبب أى قصور فى تنكر .. لقد أكتعتى تماماً
 بأنك (ياتيل) .. إننى لم أشاهد فى حياتى كلها تنكراً بهذه
 القوة والبراعة .. لقد كشفت أمرى عندما أظمت بمسدسى
 (دار) و (جولهى) .. لو أنك (ياتيل) للحقيقى ، لما تروننت
 لحظة واحدة فى نفس رأسيهما .. أما (أدهم صبرى) ،
 فهو رجل المخابرات الوحيد ، الذى لا يلجأ للقتل إلا فيما
 ندر .

أوما (أدهم) برأسه إيجاباً ، وقل :

- هذا صحيح .. إني أنقض القتل ، ولا أُلجأ إليه إلا مضطراً .. لقد نمت رأس الرجل ، الذي كان يمسك (نينا) ؛ لأنه لم يكن هناك من سبيل سوى هذا ، أما بالنسبة لـ (دار) و (جولي) ، فقد كانت الإطاحة بمسدسيهما كافية .

قال (جير) فجأة :

- ولكن لماذا ؟ !

تطلع إليه (آدم) متسائلاً ، فاندفع مستطرداً :

- لماذا أتيت بدلا من (يانيل) ؟

أجاب (آدم) في هدوء :

- لم تكن أصعب (يانيل) لتحتمل الموقف .. إنه لم

يعتد المواجهات المباشرة .

قال (جير) في حزم :

- فقط ؟ !

ابتسم (آدم) في سخرية ، قائلاً :

- أليس لديك تفسير آخر ؟

أجاب (جير) في عنف :

- بالتأكيد .

ثم مال نحو (آدم) ، مستطرداً في عصبية :

- في رأيي أنك هنا ؛ لأن (يانيل) في طريقه للفرار .

كان يصيب كبد الحقيقة تماماً باستنتاجه هذا ، إلا أن (آدم) أطلق ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن يقول :

- ياله من تفسير عبقري .. وكيف يفر من هنا ،

وأنت تسيطرون على كل مداخل ومخارج المدينة ؟

أشار إليه (جير) ، قائلاً :

- مستعدون وسيلة لهذا .

ثم أشار إلى صدره ، مستطرداً :

- وأنا سأمنعكم من تهريبه .

سأله (آدم) ساخراً :

- وكيف أيها العبقري ؟

تراجع (جير) ، وتأنقت عيناه ، وهو يقول :

- ثقي بأن لدى وسيلة .

مال (آدم) نحوه ، قائلاً :

- مثل ماذا ؟

لم يكذب يتم عبرته ، حتى دوت رصاصة في المكان ،

وأصابت بندقيته (آدم) ، وأطاحت بها بعيداً ، وأطلق (جير)

ضحكة ساخرة عالية ، وهو يقول :

- مثل هذا أيها المغرور .

ومن خلف المخزن القديم ، برز الرجل الذي أطلق

الصار ، وهو يصوب بندقيته القوية إلى (آدم) ، ويقول

مفوحاً ببده :

- هل وصلت في الوقت المناسب يا ماستر (جيز) ؟
ولم يكن هذا سوى (يوناسيو) ..
كبير مفتشى الشرطة ..

★ ★ ★

تتحنض ضابط الجوازات في توتر ، وحاول أن يرسم على
شفثيه ابتسامة كبيرة ، إلا أن ابتسامته عصمت لاضطرابه
التشديد ، وهو يستقبل الأثشر ، الذي يدفع أمامه مقعد
الشيخ ، وقال :
- معذرة مرة أخرى يا سيدي .. لم أكن أقصد شيئاً
بالتأكيد ، ولكن ..

لوح (ياتيل) بيده ، وأشاح بوجهه متظاهراً بالغضب ،
فجفف الضابط عرقه البارد في توتر ، في حين قال
الأثشر :

- لقد شرحت الأمر كله لجدي ، وأقنعتك بذلك ثم تكن
تقصص إهائته . وأنت كنت تؤدي واجبك فحسب .

هتف الضابط :

- هذا صحيح .. كنت أؤدي واجبي فحسب ، ولكنني أعترف
أنف مرة .

لوح (ياتيل) بيده مرة أخرى ، وهنهم بعبارة غير
مفهومة ، فعاد الضابط يجفف عرقه ، وهو يقول :

- على أية حال ، لقد مضى كل شيء بسلام .. أنضمم
أن تكونا قد قضيتما إجازة جيدة هنا .
أوما الأثشر برأسه ، مغمغماً ، وهو يتأولنه جوازى
السفر :

- هذا صحيح .. بلكم جميل للغاية .
ألفي الضابط نظرة سريعة على جوازى السفر ، ثم
ختمهما بسرعة ، قائلاً :
- بالطبع .. بالطبع يا سنيور ، ونحن نرحب بكما في
بلاننا في أي وقت .

استعد الأثشر الجوازين ، ودفع المقعد المتحرك نحو
صالة السفر ، والتداء الأخير يتردد في المكان ..
وفي أحد الأركان ، عقد رجل من رجال (الموسد)
حاجبيه ، وغمغم :

- ولكن ماذا لو ... ؟

لم يتم حبارته . ولكن بذرة تشك تبتت في رأسه ،
فأدار عينيه إلى حيث نورة المباد ، ثم غادر موقعه ،
واتجه نحوها في خطوات سريعة ..

وعندما بلغ بابها ، كان الشك قد تحول في أعماقه إلى
شجرة ضخمة ، كبيرة الأغصان ، غزيرة الأوراق والثمار ،
فدفع الباب في عنق ، و ...

وتوقف محققاً في الرجل الذي يقف أمامه ..
في مستر (ويليس) الحقيقي ..

★ ★ ★

اتسعت عينا (دار) في دهشة ، وهو يحنق في
(بوناسيو) هاتفاً :

- (بوناسيو) ١٩ .. من يعمل لحسابكم يا مستر (جير) ؟
إجابته (جير) في شيء من الزهو :

- بالطبع يا عزيزي (دار) .. إنه يعمل لحسابنا منذ
زمن طويل للغاية .. لماذا استقر في منصبه طويلاً في
رأبك ، لو لم يكن كذلك ؟

اتسعت حاجبا (جونهي) ، وهو يقول :

- أعترف لكم بالتفوق في هذا المضمار يا مستر
(جير) .

أشار (أدهم) بيده ، قائلاً في سخرية :

- وأنا أيضاً أعترف لكم بالتفوق ، في كل الأعمال
لقدرة .

تطلع إليه (جير) لحظة ، ثم ارتسعت على شفقتيه
ابتمامة ظافرة عريضة ، وهو يقول :

- أشكرك يا مستر (أدهم) .. أشكرك كثيراً .

ثم أشار إلى (بوناسيو) ، مستطرداً في زهو :

- وباتمناسبة .. (بوناسيو) فخاص بارع .. لقد حصل
على عدة أوسمة من الجيش ، في هذا المجال ، قبل أن
يعتزل العمل ، ويتحقق بجهاز الشرطة .

ومال نحو (أدهم) ، ليضيف شامتا :

- أقول لك هذا ، لتعلم أنه كان باستطاعته قتلك
بالرصاصة الأولى ، لولا أنه اعتاد أن يترك لي أياً مهمة
اتخاذ مثل هذه القرارات .

قال (أدهم) في سخرية :

- وهل يمكنك بالفعل اتخاذ أية قرارات ؟

تراجع (جير) في حدة ، وانعدت حاجباه في شدة ، ثم
ابتعد عن (أدهم) ، وأشعل سيجارته في توتر ، في حين
تكرر (دار) يستعيد مسندته ، وفحصه بسرعة ، قبل أن
يقول محققاً :

- اللعنة !.. الرصاصة أفسدت المسند ..

صاح به (جير) في صرامة :

- اصمت يا (دار) .

ثم التفت إلى (أدهم) ، مستطرداً في حدة :

- والآن يا مستر (أدهم) .. هل ستخبرني أين أجد

(يانيل) ، أم أنك تفضل الموت بون هذا ؟

أجابته (أدهم) ساخراً :

- ما رأيك أنت يا (جير) ؟.. ما الذي توصلت إليه

دراساتكم لي؟

اتعقد حاجبها (جير) في شدة، وهو يجيب :
- أعظم ما تقصده يا مستر (أدهم) : فكل التراسات
تؤد أنه لا التعذيب ولا الموت يمكنهما إخافتك ، أو دفعك
لفعل ما ترفضه .

ثم جذب (نيئا) إليه بغتة ، مستطردا في شراسة :
- ولكن ماذا عن الآخرين ؟
صرخت (نيئا) مذعورة ، واتعقد حاجبها (أدهم) في
صرامة ، وهو يقول :

- إياك أن تمس شعرة واحدة منها يا (جير) .
صاح (جير) غاضبا :
- بل سأجتزئ عبقها كله ، لو لم تتعاون معي يا مستر
(أدهم) .

ودفع (نيئا) جانبا ، وهو يصرخ :
- (يوناسيو) .. عند أول إشارة مني ، تمسف رأس هذه
المرأة .

شبهت (نيئا) في رعب ، وقال (أدهم) في غضب صارم :
- لقد حذرتك يا (جير) .
صاح به (جير) :

- وأنا أيضا حذرتك يا مستر (أدهم) .. إما أن تخبرني
أين أجد (يانيل) . أو تشاهد رأس هذه الجميلة ، وهو
ينفجر أمام عينيك .

ازداد اتعقد حاجبها (أدهم) ، في حين انتفع نحوه
(دار) ، قائلا في حدة :

- هل سمعت يار رجل .. أفسح عن مكان (يانيل) .
أو ...

وقبل أن يتم عبارته ، انقضت عليه (أدهم) بغتة .
وأحاط عنقه بساعده ، وهو يقول :

- أو ماذا أيها الوغد .
توتر الموقف بشدة ، و (أدهم) يستطرد :

- أعتقد أن هذا يقلب الموقف كله يا (جير) .
اتعقد حاجبها (جير) في غضب ، ثم أشار إلى (دار) .
وقال (يوناسيو) في صرامة :

- أزل هذه العقبة .
اتسعت عينا (دار) في ارتياح ، وهتف (جولهي) :

- هل جئت يا (جير) ؟
ولكن (يوناسيو) ضغط زناد بندقيته بلا تردد ..
واتطقت الرصاصة ..

واخترقت جبهة (دار) ، الذي اتسعت عيناه في ألم
وذهول ، قبل أن يتهاوى جثة مائدة ، و (جير) يلفظ
نحان سيجارته ، قائلا :

- والآن ، هل نعاود مفاوضاتنا يا مستر (أدهم) ؟

صرخ (جولهي) في غضب هادر :
- أنت مجنون .. مجنون تماما .. لقد قُلت (دار) بلا
رحمة .

أجابه (جير) في صرامة :
- اصمت يا رجل .. عملنا لا يعرف الرحمة .
اتحنى (جولهي) ينقط مسدسه . وهو يهتف :
- فليكن .. مادام عملنا لا يعرف الرحمة ، فسابعذك
عه إلى الأبد يا (جير) .

وصوب مسدسه إلى (جير) ، الذي صرخ :
- (بوناسيو) .

وبسرعة مدهشة ، أدار (بوناسيو) فوهة بندقيته
إلى (جولهي) ، وأطلق النار ..

وفي نفس اللحظة ، التي استقرت فيها الرصاصة في
صدر (لون جولهي) ، تحرك (أدهم صبرى) ..

لقد وثب إلى الأمام ، ورغل (جير) في وجهه بقوة ،
ثم جنب (نيئا) إليه ، هاتفا :

- أسرعى .

شهقت (نيئا) ، وهي تعدو إلى جواره مذعورة ،
وهتف (جير) في ثورة :

- اقتلها يا (بوناسيو) .. اقتلها معا .

أطلق (بوناسيو) رصاصة ، تجاوزت رأس (أدهم)
بمستعمرتين فحسب ، فصرخت (نيئا) ،
- لافائدة .. لافائدة .

جذبها (أدهم) في سرعة أكبر ، محاولا الإفلات من
الرصاصة الثانية ..

ونكثها فقتل توازنها بعثة ..
ومع سقوطها ، تحنى (أدهم) ، وسمع أزيز الرصاصة
الثانية ، وهي تعبر فوق رأسه مباشرة ، و (جير) يصرخ

كالمجنون :

- اقتلها يا رجل .. اقتلها .

وتوقف (أدهم) لحظة واحدة ، محاولا انتشال (نيئا)
من سقوطها ..

ولم يكن (بوناسيو) بحاجة إلى أكثر من هذه اللحظة ،
تقاصص محترف سابق ، ليصوب بندقيته للمزودة بمنظار
مقرب إلى رأس (أدهم) ، وهو يقول :

- لن تفلت الثالثة أبدا .

وفي مركز الخططين المتقاطعين ، في منظار بندقية
(بوناسيو) ، ظهر رأس (أدهم) في وضوح ، و ...

ودبت رصاصة في المكان ..

وأصابت هدفها ..

وبمنتهى الدقة ..

★ ★ ★

١٤ - وداعًا للخطر..

(كراكس) .. اثنتى عشر من يوليو ..

المباشرة صباحًا ..

انعقد حاجبا رجل (الموساد) فى شدة ، وهو يتطلع إلى وجه مستر (ويليس) ، الذىلقى عليه نظرة لامبالية ، ثم عاد يغفن وجهه فى عناية ، فى حين تطلع رجل المخابرات المصرى إلى رجل (الموساد) ، وسأله فى هدوء ، وبقعة إسبانية سقيمة :

- هل من مشكلة يا سيدى ؟

التفت إليه رجل (الموساد) ، وأجاب بسرعة :

- مطلقا .. معذرة ، لى أن دخولى المباحث أزعجكما .

هز (ويليس) كتفيه ، وقال فى لامبالاة :

- إنه لم يزعجنا .

رمقه رجل (الموساد) بنظرة طويلة ، قبل أن يقول :

- هذا أفضل بالتاكيد .

ثم غادر المكان فى سرعة ، فابتسم مستر (ويليس) ،

والتفت إلى رجل المخابرات المصرى ، يسأله فى جدل :

- إنه لم يتعرفنى .. أليس كذلك ؟

أجابته رجل المخابرات :

- بالتأكيد .. لقد تغيرت هيئتك تماما ، بعد أن حلقت

لحيثك رشايك ، وخلعت منقارك الطبى ، وأبدلت ثيابك .

قال (ويليس) فى سعادة :

- لو كان (جيمس بوند) فى مكانى لفعل هذا .. أليس

كذلك ؟

أوما رجل المخابرات المصرى يرأسه إيجابيا ، وقال :

- بلى .. لقد تصرفت مثله تماما .

تهللت أسارير (ويليس) ، وهو يقول :

- هذا عظيم .. عظيم .

ناولته رجل المخابرات المصرى جواز سفر جديدا ،

يحوى صورته بتلك الهيئة ، وهو يقول فى هدوء :

- كانت هذه الخطوة شديدة الأهمية والخطورة كما رأيت

يا مستر (ويليس) ..

الآن تأكد رجال (الموساد) أن هذا العسافر هو مستر

(ويليس) شخصيا ، أما أنت فستحول إلى شخصية جديدة .

التفت (ويليس) جواز السفر الجديد ، وفتحته فى نهضة ،

متسائلا :

- وما الاسم الذى سأحملته الآن !

وشهيق في سعادة ، وهو يهتف :

- آه .. (يوند) .. (جيرارد يوند) .. ثم أكن أحلم بالفضل من هذا .

ثم مذيده يصافح رجل المخابرات المصري ، قائلاً في حماس :

- لقد أمتعتي العمل بكم كثيراً ، وأنا رهن إشارتكم ، في أي عمل تطلبونه في المستقبل .. أبلغ الجميع هذا .

صافحه رجل المخابرات المصري مبتسماً ، وهو يقول :

- نحن نقدر لك هذا يا مستر (ويلبي) .. شكراً جزيلاً لتعاونك معنا ، وننتظر دائماً أننا لائتمنى أصدقائنا أبداً .

قال مستر (ويلبي) في ارتياح :

- أنا واثق من هذا . وفي نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبارته ، كانت طائرة (تر ، دبليو ، إيه) تحلق متجهة إلى (نيويورك) ، وعلى متنها (يائيل بروزنسكي) ..

وهناك كانت في انتظاره طائرة مصرية ، لتقلعه مباشرة إلى بر الأمان ..

إلى (مصر) ..

★ ★ ★

انتفض جسد (نينا) في عنف ، مع دوى الرصاصة ، وارتفعت عينها في ارتياح إلى وجه (أدهم) متوقعة أن ترى الدماء تغرقه ، بعد إصابته بالرصاصة ..

واتسعت عينها في دهشة ..

لقد كان (أدهم) ستيماً معافى ، معنود الحاجبين ، يتطلع في إيمان إلى حيث يقف (يوناسيو) ، فادارت عينها إلى حيث ينظر ، ووقع بصرها على كبير المفتشين ، وهو يتراوح في قوة ، والدماء تتدفق من بين شفتيه ، ويندقيته تسقط من يده ، وسمعت (جير) يهتف :

- اللعنة !.. ماذا حدث ؟

ومع آخر حروف عبارته ، هوى (يوناسيو) جثة هامدة ، وظهر من خلقه رجل آخر ..

(باردو) .. المفتش (باردو) ، الذي يمسك مسدساً ، يتصاعد النخاع من قوته ..

وفي دهشة مستترة ، هتفا (جير) :

- من أنت بالضبط ؟

أبرز (باردو) بطاقته ، وهو يقول :

- المفتش (باردو) أيها الأمريكي .. رجل الشرطة الوحيد ، الذي لم تنجحوا في رشوته .

نهض (أدهم) في هدوء ، وساعد (لينا) على التهوؤ .
وهي تسألته متوترة :

— ماذا حدث ؟

أجابها في خفوت :

— يبدو أن الأمور انقلبت رأساً على عقب .

سألته مبهورة :

— كيف ؟

أشار إلى (باردو) . دون أن يعلق بحرف واحد . في حين كان (جير) يقول متوتراً :

— يبدو أنك لا تفهم ما يدور هنا أيها المفتش .. الأمر أكبر منك بكثير .. أكبر من جهاز الشرطة كله .. إنها عملية سياسية في المقام الأول .

قال (باردو) في سخرية :

— ولكن كبير مفتشينا اشترك فيها كأي مجرم أو قاتل أجير .

ثم أضاف في صرامة :

— ونال ما يستحقه .

لوح (جير) بيده ، قائلاً :

— فلنكن .. لن نتدخل في شئونكم الداخلية .. كل ما نريده هو الرجل والفتاة .

ظهر زورق بخاري في هذه اللحظة ، وهو يقترب من الميناء القديم ، فاضاف (جير) في توتر :

— وسندفع مقابل هذا بسطاء .

سأله (باردو) :

— وما أذى فعله الرجل والفتاة ؟

صاح (جير) :

— ليس هذا من شأنك .. سندفع مليون دولار ، مقابل ابتعادك عن هنا الآن .

قال (باردو) في صرامة :

— من البقر ما لا يمكنك شراءه بالمال أيها الأمريكي .

هتف (جير) :

— ربما كان لدينا ما هو أفضل من المال ، النظر .

ودس يده في جيب سترته الداخلي ، وأخرجها قبضة

على مسنن ضخم ، أطلق النار منه نحو المفتش (باردو) ،

صارخاً :

— القتل مثلاً .

أصابته الرصاصة المفتش ، والتلغته من مكانه ، في نفس

اللحظة ، اتى استدار فيها (جير) إلى (أدهم) ، صائخاً :

— وأنت أيضاً يا مستر (أدهم) .

وأطلق رصاصته الثانية ..



لدفع (نيد) جانباً ، وهو يهتف :

— أتعشتم ألك تجيدين الساحة ..

وعسحترف ، كان المفروض أن يصيب (جير) هدفه ،
بمتلهي الذقة والسرعة ..

ولكن المشكلة أن يواجه محترفاً أيضاً ..

لقد رأى (أدهم) الرصاصة تصيب (باردو) ، و (جير)
ينفث إليه ، فدفع (نيد) جانباً ، وهو يهتف :

— أتعشتم ألك تجيدين الساحة .

أطلقت الإسرائيلية صرخة دعر ، قبل أن تسقط في
السماء ، في حين وثب (أدهم) جانباً ، وتفادى رصاصة
(جير) في براعة مذهلة ، وهو يقفز إلى الأمام ، ويضرب
كسراً ضخماً ، وينفض على الأمريكي ، قائلاً :

— مام كثيرة أريقت الثيلة يا (جير)

ثم لكمه بكل قوته ، هاتفاً :

— وهذا يكفي .

سقط الأمريكي أرضاً ، ولكنه لم يتخل عن مسدسه ،
فرفعه ثانية في سرعة ، وهو يصرخ غاضباً :

— من قال هذا ؟

انطلقت من مسدسه رصاصة أخرى ، كادت تصيب
(أدهم) ، لولا أن فُكّر في الهواء ، ودار حول نفسه نورة
رسمية ، قبل أن يهبط على قدميه ، ويترك المسدس من
يد (جير) ، قائلاً :

- أنا .

هَبْ (جِير) واقفاً . فاستقبلته لكمة كالقنبلة في معدته ،
ثأؤه لها في عنف . وهو يلتقي إلى الأمام ، ليلتقي بأخرى
ساحقة في أنفه ، أجبرته على الاعتدال . وعلى استقبال
كمة ثالثة كتصاعقة . هوت على فكه في عنف . وأسقطته
أرضاً بلا حراك ..

وفي اللحظة نفسها ، وصل الزورق البخارى إلى
الميناء القديم . وهتف قائده :

- آئت بخير يا ميادة العقيد ؟

أجابته (آدم) . وهو يصرع نحو البقعة . التى سقط
عندها المفتش (ياردو) :

- نعم .. أنا بخير .. انتشل السيدة من الماء . واستعد
للإقلاع .. سأحقق بك بعد قليل .

ألقى الرجل طوق النجاة - (نينا) ، التى تشبّثت به فى
قوة ، فى حين بلغ (آدم) موضع المفتش (ياردو) .
الذى استقبله منوحاً بيده . قائلاً :

- لو أنك هنا لإسعافى لياطمنن .. الرصاصة غاصت
فى أكوام الشحم ، التى تغطى جسدى . ولكنها لم تبلغ
موضعاً قاتلاً :

- ثم ضحك قائلاً :

- نيت زوجتى تعلم أن نكته الشحم . الذى تطلبنى دوماً
بالتخلص منه . هو الذى أفتقد حياتى .

- فحصى (آدم) موضع الإصابة . قائلاً :

- ولكنك تحتاج إلى إسعاف عاجل .

- لوح المفتش (ياردو) بجهاز ثلاثى . قائلاً :

- لقد طُلبت حضورها بالفعل .

- ثم سعن مرة أو مرتين . قبل أن يمال (آدم) فى
جدية :

- أجبنى بصراحة .. إنك لم تقتل لسيناتور (ستاسى) ..

أليس كذلك ؟

- ابتسم (آدم) . وهو يقول :

- لم أومن بالاعتقالات فى حياتى قط .

- تنهد (ياردو) فى ارتياح . قائلاً :

- عظيم .. الآن فقط أشعر أننى أديت واجبى بأمانة .

- قال (آدم) :

- ولكنك قتلت كبير المفتشين .

- أوماً (ياردو) برأسه إيجابياً . وقال :

- لدى أدلة تثبت إدانته . وتورطه مع الأجناب ، ضد

مصلحة وطنه .. اطمئن .. كل شيء قاتونى تماماً .

- بكته (آدم) :

- وماذا عن (جير) ؟

قال (باردو) :

- ألتصد ذلك الأمريكي ٢٢. سأعقله بالطبع ، حتى
تتدخل السفارة الأمريكية للإفراج عنه .

سأته (أدهم) في هدوء :

- وكم يستغرق هذا في المعتاد ؟

عقد (باردو) حاجبيه ، وهو يسأله :

- كم تحتاج من الوقت ؟

ابتسم (أدهم) - مجيباً :

- أربع وعشرون ساعة ستكون أكثر من كافية .

قال (باردو) في حزم :

- اتفقنا .

صمت (أدهم) لحظة ، ثم نهض قائلاً :

- ولكن لماذا تفعل هذا ؟

تطلع إليه (باردو) بضع لحظات ، ثم هز كتفيه ، قائلاً :

- هذه الليلة حالت طويلة أكثر مما ينبغي ، وأعتقد

أنه حان الوقت لوضع نهاية لها .

ثم أضاف مبتسماً :

- وبالمناسبة .. نذكرتي تصاب أحياناً بضعف مباغت ،

فأتسى بعض الأشخاص ، وخاصة أولئك الذين يرحلون

في زوارق بخارية .

ابتسم (أدهم) بدوره ، وهو يقول :

- هذا رائع .. بك أكثر من رائع .

وبينما سترخي (باردو) في مكانه ، في انتظار وصول

سيارة الإسعاف ، التي تردد صوت بوقها من بعيد ، كان

(أدهم) و (نيثا) يتعدان بالزورق البخاري عن الميناء

القديم ..

الميناء الذي شهد لحظات الصراع ..

ولحظات الخطر .

★ ★ ★



(القاهرة) .. الثالث عشر من يوليو ..

السابعة مساءً ..

أقت (نينا) نفسها بين ذراعى (يانييل) ، وانفجرت
بكية فى حرارة ، وهى تهتف :

- (يانييل) .. واحبيبى (يانييل) .. تم أتصور قط أننا
سنلتقى ثانية .

لحقوا هذا فى صدره بطنان بالغ ، وهو يقمقم :
- ولكننا فعلنا يا عزيزتى .

ثم رفع عينيه إلى (أدهم) . مستطردا :

- والفضل للسيد (أدهم) .

نوح (أدهم) بكفه ، قائلا :

- الفضل لله (سبحته وتعالى) أولا يا رجل .

سأله (يانييل) فى اهتمام :

- ولكن أخبرنى يا سيد (أدهم) .. لماذا كانت كل هذه

المطاردات ، والمناورات المعقدة ، ما دامت خطتكم تعتمد

على إخراجى من المطار مباشرة ، بهذا الأسلوب المبتكر

التدقيق ؟؟

أجابته (أدهم) فى مدود :

- كان من الضروري أن نجد وسيلة لمقابلة السفارة ،

وأن نتبع الإسرائيليين بأننا نخطط لتحريريك بواسطة معدة ،

أوما (يانييل) برأسه ، قائلا :

- فهمت .. كنت تدعهم .

ثم أضاف فى مقت :

- وهم يستحقون القتل .

رسقه (أدهم) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

- أنتم جميعا كنتم تستحقون القتل يا رجل . ولا تنس

أنك عشت حياتك كلها تسفك دماء الآخرين .

خفص (يانييل) عينيه ، وهو يقول فى آسى :

- إن يمكنك أن تتصور كم أشعر بالندم لهذا .

واندفعت انينا (يانييل) تقول :

- لقد وعلى ألا يفعل هذا ثانية قط .

قال (أدهم) فى صرامة :

- ثم يعد بمكانه أن يفعل .

تنهد (يانييل) ، وقال :

- صدقنى يا سيد (أدهم) .. أنا مخلص تماما فى التعاون

معكم .. لقد رتبوا لى عددا من الاجتماعات ، لسماع كل

ما لدى

هز (أدهم) رأسه في بطنه . مغشياً :

- عظيم .. عظيم .

ثم استدار لينصرف ، فاستوقفه (يائيل) ، قائلاً :

- سيد (أدهم) .. أريد أن أخبرك أنني تعاملت مع العديدين

من رجال المخابرات ، ولكنني أدركت ، بعد أن تعاملت

معك فقط ، ما الذي تعنيه كنمة محترف .. صدقتي يا سيد

(أدهم) .. أنت المحترف الحقيقي الوحيد ، الذي تعاملت

معه ، في حياتي كلها . وأنا أكرر شكري لك بشدة ،

على كل ما فعلته من أجلنا .

أجاب (أدهم) في هدوء :

- قلت لك إنني لم أفعله أبداً من أجلكما يا (يائيل) .

ثم استدار منصرفاً ، وهو يضيف في حزم :

- لقد فعلته من أجل (مصر) .

فتبها ، وغادر المكان في سرعة وخفة ، دون أن يضيف

حرفاً واحداً ..

تماماً كما يفعل المحترف ..

المحترف الحقيقي

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

رقم الإبداع : ٣٦١٩